

عمرو المنوفي

صندوق نهاية العالم

رواية

الموت هو المسخ الوحيد الذي لا يمكن قتله.

عمرو المنوفي

قاتل جديد

البرق يخترق عتمة المساء، ليجرح قلب السماء في عنف، ويصنع لوحة مخيفة من الأضواء الغاضبة الثائرة، يتبعه صوت الرعد المدوي، كموسيقى خلفية تصلح لفيلم رعب بعنوان نهاية العالم..

تبعتهما سيول من المطر الجارف أغرقت كل شيء، وأجبرت جميع المخلوقات على التزام منازلها وجحورها وأوكارها في تلك المنطقة النائية الموجودة على مشارف القاهرة.

المطر والبرد يفرضان سيطرتهما على كل شيء، لدرجة أن ذلك الشخص المتشح بالسواد-بمعطف جلدي، وسترة صوفية ثقيلة-كان يشعر بأن الهواء نفسه مبلل ويرتجف.

دقائق قليلة، وصارت الشوارع من حوله زلقة وغارقة في المياه بشكل لا يمكن تخيله، وكأن المدينة كلها قد تحولت إلى مكان مهجور على وشك الغرق، مما أجبره على البحث عن ملجأ ليحتمي به، من قذائف السماء المائية التي تزداد قوة وضراوة في كل لحظة.

إنه يدرك بشكل تام، أن معظم الليالي السيئة، تبدأ دوما بنفس هذا المشهد المخيف أو ما يشبهه، ولا تنتهي نهاية

جيدة أبدًا، ولكنه كان مجبرًا على التواجد في هذا المكان الكئيب، وهذا التوقيت شديد السوء، فمن اختار الموعد والمكان، راعى كل شيء إلا منفذ العملية، إنه الحمار كما يطلقون عليه في أوساطهم، لذا عليه أن ينفذ ويتحمل كل الصعاب كما تفعل...

-اللعنة.. ولكني بشر ولست حمار

يقولها في غضب، ثم يرمق السماء الثائرة في حيرة:

لم تصدق من قبل تنبؤات هيئة الأرصاد الجوية، فلماذا صدقت اليوم؟!

أفكاره نفسها تجمدت من البرد، وتركزت على فكرة واحدة: كل شيء كان يمكن أن ينتظر للغد! فقط لو أن سير الأمور يؤول إليه هو وحده فحسب، وهذا ليس الواقع بالطبع، الواقع أمر من هذا بكثير.

صوت الرياح يوتر أعصابه أكثر..

يرمق الطريق المظلم من خلف سور ذلك المبنى الغارق في الصمت والظلام الذي يحتمي به.. ينظر إلى ساعته، وجسده يرتجف من البرد، ويطلق زفرة ساخطة..

لحظات ثم عاد ومسح المكان ببصره بحثا عن شيء ما

أو شخص ما.. والضيق يظهر على وجهه كقناع التصق به. وعندما لم يتعثر بمبتغاه، أشعل سيجارة جديدة بصعوبة بسبب الرياح العاصفة، ونفث منها خيط من دخان تلاشى بسرعة، وهو يفكر مجددا:

إن المناخ يتغير خلال السنوات الأخيرة بشكل مرعب، كحال كل الأشياء التي لم نتوقع يوما أن تسوء بهذا الشكل الشنيع..

وهو لم يكن يأبه لو أمطرت ثلجا أو عصفت بكل شيء، أو انطبقت السماء على الأرض، فقط لو لم تختر هذه الليلة المشؤومة.

لعن طمعه وشيطانه وحاجته الماسة لدفعة جديدة من المال، تحرك نهر حياته الراكد، وتملأ جيوبه الخاوية، وأخذ يحدث نفسه بأن الشياطين نفسها، لا بد وأنها في عطلة اليوم لسوء الأحوال الجوية، وأن سيدهم في أسوأ الظروف، يلتحف بالفراء في إحدى حفر الجحيم اتقاءا للبرد القارس، والريح العاصفة.

الطقس يزداد سوءا، وعليه أن يغادر في أقرب فرصة -يمكنه استخدام سوء الطقس كحجة جيدة، لا تخفى إلا على أعمى، أو منعدم التمييز- فلا بد وأن نصف البلاد تغرق في هذا التوقيت وتلك الظروف الاستثنائية، والنصف الثاني

أصابه شلل مروري مزمن، كما يحدث في مثل تلك الأجواء العاصفة الماطرة..

المكان المحيط به يغرق بالفعل، والمياه ترتفع بشكل مقلق؛ حتى أنها غمرت حذائه وأفسدته، ولو استمر الوضع على هذا المنوال، فالبرك الطينية، ستتحول لبحيرة جارفة من مياه الأمطار العكرة..

ولكن هل تكفي هذه الحجة ليعود لرب عمله خال الوفاض؟ ويفسد فرصة سانحة كهذه غابت عنهم فيها أعين شرطة مكافحة المخدرات، ورجالها المنهمكين في مكافحة الكوارث التي تسببها الأمطار.

إنه يرغب في الرحيل بشدة، ولكن الحمار ينفذ فقط ما يؤمر به.

جسده المرتجف من البرد الذي ينخر في العظام، وجلده الذي صار كجلد أوزة من البلل يشجعانه على المضي قدما في فكرته، ولكن ليس كل ما يتمناه المرء يدركه، فهو لن يتحمل غضبة المعلم سعد الشامي، الذي لن يرى في تهاونه، إلا ضعف وأنوثة وربما خنوثة..

ولن يكتفي بالطبع بتقريعه، أو حرمانه من مكافأته المالية التي هو في أشد الحاجة إليها، مع ديونه التي تتضاعف

طوال الوقت بسبب الداء الوبيل الذي أصابه.. القمار! فلا تسير الأمور في هذا العالم بمثل هذه الطريقة البسيطة.

على كل حال لا تسير أي أمور بالنسبة لأمثاله ببساطة أبدًا، فالأقدار لم تعتد أن ترأف بمن هم مثله.

لذا فإنه بدل مكانه، وكمن في ذلك الركن المنعزل المظلم من الشارع، على أمل أن يتوقف المطر، أو يمضي الموعد المحدد فلا يكون هو المقصر.

ومع مضي الوقت، وبعد أن أشارت الساعة لتجاوز الوقت منتصف الليل توتر في مكانه وهو يفحص المكان للمرة الألف بعينيه اللتين أغرقهما المطر، ولدقائق مرت عليه وكأنها الأبدية ظلت الأمطار على قوتها وعنفوانها وعنفها، ووقف هو يتأمل الطبيعة الخشنة الثائرة، التي أشعرته بضآلته وقلة حيلته.

المطر الرهيب يرجم كل شيء، منذرا بليلة رهيبة غير مسبوقة.

ينظر في ساعته ثم إلى مأذنة المسجد القريب، لقد مر الوقت دون أن يصدح بأذان الفجر في سابقة هي الأولى من نوعها منذ تم إنشاؤه..

لسان آخر من البرق يضيء السماء، ووجه ذلك الشخص

المتجهم الغارق في الأفكار، تبعه قصف الرعد الذي صار بشكل ما أكثر قوة وقربا، لينبح على البعد كلب لا يستوعب حقيقة الشتاء وقسوته.

الرياح تعوي كذئب جائع، والأفكار تتصارع في عقله، وبكل ما يموج بداخله من قلق، غمغم في حنق، وهو ينظر في ساعته في توتر، ويهم بمغادرة المكان الذي أصبح جحيما من الوحل والبرد:

- الجو أصبح لا يحتمل، لا يمكن أن أنتظر أكثر.. لن يحضر أحمق غيري في هذه الليلة الملعونة.

ثم صمت قليلا، وتابع حديثه المتبرم مع نفسه:

-اللعنة لماذا لم أحضر إلى اللقاء بسيارة كانت ستكفيني مؤنة هذه المعاناة.. لا تلك الدراجة النارية اللعينة .

وبقرارة نفسه كان يعلم أن استخدامه للدراجة النارية هو نوع من الاحترازات الأمنية الوقائية، لكونها وسيلة أسرع وأفضل عند الفرار، وتضليل المطاردين، كما أنها لن تكلفة أي أموال لأستأجرها.. فهي ملكه.

ولكنها الآن تبدو في عينيه كوسيلة إضافية لعقابه!!.

نظر لساعته مرة أخيرة، ثم قرر الرحيل، وليكن ما يكون،

لقد مرت خمس دقائق بعد الموعد المتفق عليه، وابتل جسده بالكامل، وقريبا سيصاب بالتهاب رئوى حاد، لن تتحمله رئته المتدهورة هذه المرة، وربما تتجمد يداه فلا يستطع قيادة دراجته النارية..

تخيل غضبة معلمه، ولكنه كان قد اتخذ قراره، على ضوء المعطيات التي أمامه، والتي من الواضح أنها لن تتغير.

وفي نفس اللحظة التي قرر فيها الانصراف، لمح ضوء ذلك المصباح اليدوي، الذي اشتعل وانطفأ ثلاث مرات متتالية من قلب الظلام وسيول المطر، فأطلق صرخة مكتومة، وهو يحدث نفسه قائلا:

- أخيرا أيها اللعين.

وعلى الفور أخرج من جيب معطفه مصباح يدوي مماثل، وكرر نفس الإشارات الضوئية المتتالية، وعيناه مركزتان وسط الأمطار على المكان الذي أتى منه الضوء..

وهنا اقترب منه حامل المصباح اليدوي الذي كان يخفي وجهه بكوفية ثقيلة لا تظهر منها إلا عينان رماديتان لامعتان، أشبه بأعين القطط، ليناوله حقيبة جلدية مغلقة، ويتناول منه حقيبة أخرى مشابهة وإن اختلفت في اللون، وليبتعد عنه بسرعة، وبدون أي حديث ليبتلعه الظلام..

تابعه النحيل ببصره للحظات حتى لم يعد لديه القدرة على رؤيته. وعندما هم بالرحيل لمح ألسنة البرق المتتالية التي تفجر عنها المكان الذي أختفى فيه صاحب الكوفية، وقد صنعت لوحة سريالية من الأضواء الزرقاء المتقاطعة.

لون ألسنة البرق الزرقاء العجيبة جعلته يشعر بانقباض في معدته وتوتر لا مثيل له، لينتصب بعدها شعر جسده كله، نتيجة لأن المكان كله أصبح مشحونا بشحنة كهربائية استاتيكية عالية.

استولى الأمر على اهتمامه وتركيزه، قبل أن تنفجر في المكان قنبلة من الضوء الأبيض الثقيل، أجبرته على إغلاق عيناه لفترة، وقلبه ينبض بعنف متوقعا كونها أضواء سيارات قوات الشرطة الغاشمة.

تحرك في عصبية وهو مغمض العينان ليفر من المكان، قابضا على الحقيبة التي يحملها في قوة.

وهنا صدم أذنيه صوت ضجيج هائل، تبعه صراخ بشري عنيف مختلط بصوت تقطيع وتمزيق مع صوت زمجرة عالية مخيفة مكتوم، جعلته يندفع بسرعة، ودون تفكير نحو مصدر الصوت، وهو يحاذر أن تفلت الحقيبة الجلدية من يده، التي أصبحت أثقل مع مضي الوقت.

وفي لحظة حماقة مفاجئة منه اندفع نحو المكان الذي تصدر منه الأصوات، بعد أن أيقن من أعماقه أن ما يحدث لا دخل له بالشرطة، هناك قتال شرس يتم بين حيوان مفترس وبشري عاجز..

فلا يمكن أن تكون مصابيح سيارتهم بمثل هذه القوة، ولا يمكن أن تشتعل مرة واحدة وتنطفئ دون أن يسمع تحذيرهم، أو يراهم يحيطون به كإحاطة السوار بالمعصم..

إنه يعلم كيف يتصرف رجال الأمن في هذه المواقف.

وعندما وصل إلى المكان الذي يضيئه مصباح أصفر شاحب معلق في عمود كهرباء يتيم لم تفسده مياه الأمطار الهادرة بعد، أيقن أنها لم تكن مجرد حماقة..

بل حماقة قاتلة!!.

فما يراه أمامه كان مروعا، وتجمد على أثره من الرعب والصدمة في آن واحد.

فأمامه وعلى ضوء عمود الكهرباء المصفر المهتز، ظهر طيف باهت أزرق اللون.. هلامي التكوين، له هيئة شبه بشرية، يحوم في المكان، كليث غاضب، تتناثر من حوله قطرات المطر في عنف، ليخدش عتمة الضياء دون أنا يلامس الأرض الموحلة.

فرك عينيه غير مصدق ما يراه، ثم عاد ببصره إلى نفس المكان، لتتسع عيناه بدهشة أكبر، فالطيف المخيف كان هناك، ينظر إليه بعينين رماديتين وحشيتين من قلب الرأس الهلامي..

عينان شريرتان متألقتان أشبه بأعين القطط..

همس في توتر:

- ما هذا بحق الجحيم؟

فرك عينيه بقوة أكبر، وهز رأسه غير مصدق، ثم عاد ببصره لنفس المكان، ليردد في هلع:

- اللعنة

إنه يراه بالفعل لا يتخيل، لا مجال للأوهام هنا، والمفزع أنه كان ينظر نحوه في جشع.

حاول أن يترجم ما يراه أمامه، لكنه عجز تماما.

في اللحظة التالية رأى الطيف المخيف يسري بالقرب من بركة من المياه الأسنة، الملقى بداخلها جثة ذلك الشخص المريب ذو الكوفية، الذي تسلم منه حقيبة المخدر منذ وقت قصير، أو لنقل بقايا جثته.

فالجثة لم تكن قطعة واحدة، بل ممزقة إلى عدة قطع ومتناثرة وسط الأوحال، ومن الواضح أنه تم افتراسها بعنف وهمجية شديدتان، وفي وقت قصير جدًا..

رأس الجثة، كان ملقى أسفل العمود ذو الضوء الشاحب، يتطلع نحوه من خلال فجوتان سوداوان داميتان، وكأن هناك من انتزع العينين من مكانهما دون رحمة، بعد أن شوه الوجه والجسد بشكل لا ينفع معه إصلاح، وهذا لا يمكن أن يقوم به إلا حيوان ضاري هائل الحجم، لا يراه في المكان، ولكنه سمع زمجرته بأذنيه.

وترته الفكرة، وهو يتلفت حوله، فلا يمكن أن يكون هذا الحيوان قد غادر في تلك اللحظات القصيرة التي انقضت بين الصرخة، ووصوله إلى حيث ترقد الجثة ممزقة..لابد وأن للأمر علاقة بذلك الطيف المتوهج المفزع الذي ينتصب أمامه، ويرمقه بنظرة تتجمد لها الدماء في عروقه، وهذا ما لا يفهمه..

متى كانت الأطياف أو الأشباح أو العفاريت، بمثل هذه الهيئة العجيبة، ومتى تخلت عن المس والاستحواذ، لتقتل وتمزق الجثث بهذا الشكل الدموي البشع، غير المسبوق؟!

إنه لم يتعاطى أي نوع من المخدرات أو الممنوعات التي اعتاد تناولها هذا المساء، ليكن ما يراه مجرد هواجس أو

خيالات ناتجة عما تعاطاه! وهو بروتوكول يتبعه دائما في عمله شديد الخطورة، حتى يصبح على درجة جيدة من الوعي والتركيز، فلن يتحمل تبعات أخطائه..

لا أحد يخطأ في عمله، ويبقى على قيد الحياة ليعتذر.

لذا فإنه وقف مجمدًا في مكانه عاجزًا عن الفهم، والأمطار تغرق ثيابه وحقيبته، دون أن يرفع بصره عن ذلك الطيف المخيف، الذي لم يكن هناك شيئا محددا في هيئته الهلامية الباهتة، غير العينان الرماديتان، اللتان تشبهان بشدة، تلك العينان اللتان فقدتهما رأس الرجل ذو الكوفية، الذي تتناثر أشلائه بين الأوحال..

فهل لهذا معنى؟

قلبه يخفق في عنف، والعينان الرماديتان الجشعتان مركزتان عليه بإصرار مروع..

حاول أن يقنع عقله بأن ما يراه هو مجرد شبح أو عفريت، سينصرف ببعض الدعاء والثبات..

وبرغم من أنه لم يرى شبح أو عفريت في حياته، إلا أنه لم يكن مرتاحا، وهو يطلق على هذا الشيء الهلامي المخيف هذه المسميات..

لذا فإنه أخذ يدعو بما حضر في ذهنه، ويقرأ آية الكرسي، التي يحفظها عن ظهر قلب برغم من أنه أهمل طقوسه وصلاته منذ زمن طويل ..

وعندما أقترب منه الشبح/ العفريت المخيف.. إلى أقرب درجة، لم يصدق ما يراه..

فالعينان كانتا مقحمتان بداخل الرأس الهلامي المتوهج، وخلفهما كامل مجموعة الأعصاب والأوردة والشعيرات الدموية، التي تتصل بما يشبه الشعيرات الدموية الزرقاء التي كانت تنبض ببطء..

ومن الصدمة سقطت من يده الحقيبة الجلدية الثقيلة التي كان ما يزال يحملها ويحرص عليها كحياته، سابحة في قلب الفراغ، لتحتضنها بركة المياه التي أصبحت مياهها داكنة، بعد أن لوثتها الدماء، ولوحها ضوء المصباح الأصفر الشاحب، وكأنه فقد كل يقين لديه بنجاته..

ليعود الصمت إلى المكان بعدها، ولا يقطعه إلا نباح الكلب القلق البعيد، وصوت دقات قلبه الذي يكاد من الخوف أن يقفز من صدره، وهو يواجه ذلك الطيف القاتل..

وفجأة تألقت بشدة هالة ضوئية باهتة أحاطت بذلك الطيف، لتعمي بصره للحظات، ليسمع بعدها صوت الزمجرة

الوحشية الخشنة، ويرى الأنياب والمخالب الحادة تلمع أمامه.

فبجوار ذلك الشبح المفزع المتوهج، تجسد شبح مرعب أخر، لكلب هلامي مشوه هو الأخر، ينبح كالمسعور، وزبد متوهج عجيب يتناثر من شدقيه، وكان من الواضح أنه يتهيأ للفتك به، وبرغم هذا أخذ ينظر نحوه بذهول، فقد كان نصف الكلب الأمامي شبه طبيعي، الرأس والقوائم الأمامية والفراء، بينما النصف الأخر من هلام متوهج ويمتد حتى الذيل..

تطلع نحو الأنياب الحادة المتألقة التي كانت تقترب منه في ثقة ووحشية، وقد أيقن من هلاكه، وعقله ما زال عاجزا عن تفسير الموقف، أو منحه إطارا معقولا، فما يراه لم يكن ليفاجئه حتى في أسوأ كوابيسه.

رفع رأسه ليواجه الأنياب التي يتساقط الموت منها..

فانتفض جسده، وشعر بسائل دافئ يغرق سرواله، ونصفه السفلي، وينساب ليمتزج بمياه المطر.

حاول أن يتراجع للخلف، ولكنه شعر بعينا الكلب المشعتان، تجمدانه في مكانه..

ظن لوهلة أنه تجمد من البرد، وغرق في النوم، وهو

يهلوس الآن، ولكن كل شيء كان حقيقيا..

الكلب المسعور نصف الهلامي ..

عيناه المنومتان المخدرتان..

الأنياب والمخالب الحادة التي تغوص في لحمه ..

وصوت تمزق لحمه وتهشم عظامه..

والألم غير المحتمل ..

وما لم يصدقه أنه يموت بين أنياب كلب مسعور نصف هلامي، وأن الأنياب والمخالب المتوهجة قادرة على القطع والبتر والتمزيق بمثل هذه الكفاءة والقسوة.

ومع صرخته الأخيرة انتزعت قبضة ذلك الطيف الدموي قلبه من صدره، وتسربت الحياة من جسده الممزق ليتهاوى أرضا، دون أن يفهم أي شيء.

وعندما انتهى الكلب المفترس من مهمته الدموية، وحظيت معدته الهلامية بوجبة دسمة، انطلق يعدو نحو الطيف الشبحي الذي تألقت الهالة الزرقاء الباهتة التي تحيط به بشكل مضاعف، ليلتحم الكلب الضخم بكيانه الشبحي المتألق ويندمج فيه، لينفجر المصباح الكهربي الشاحب..

وليسود الظلام بعدها، ويعود الطيف الشبحي إلى حالته

الطبيعية -لو كان لنا أن نستخدم هذا التعبير- قبل أن يدوي أزيز خافت في المكان مع فرقعة مكتومة، ويتلاشى تماما كل أثر له من المكان، تاركا خلفه بحيرة من الدماء والأشلاء، تغمرها مياه الأمطار، التي عادت لترجم المنطقة.

وفي نفس اللحظة، وفي غرفة نومها البعيدة عن مكان تلك المجزرة، استيقظت السيدة روحية الشواف من نومها فزعة، وهي تصرخ في هلع وتقول بصوت مضطرب باك:

- لقد عبر البوابة قاتل جديد!!.

وكان من الواضح أن الليلة لن تمضي على خير، سواء لها أو للضحايا الغافلين، أو لأفراد فريقها المنكوب..

إنها مغامرة جديدة، مفعمة بالموت والدماء.

مغامرة لا أحد مستعد لها.

لا أحد.

خارج عن المألوف

في ركن منزوي بداخل مطعمهم متوسط الشهرة الموجود بقلب المدينة، تجمع الأصدقاء الأربعة، حول طاولة معدنية أنيقة في ركن قصي من المكان، بعيد عن زوار المكان.

من يراهم سيتعجب من جمعهم هذا، فكل منهم يختلف في هيئته وشكله عن الآخرين بشكل واضح، وفج.

فزينب فتاة أنيقة بسيطة في العشرينات من عمرها، تبدو بجسدها النحيل أصغر بخمس سنوات، ورأفت شاب بدين، له وجه طفولي ممتلئ كموظفي شئون الطلبة، وموسى دبابة بشرية، وكتلة من العضلات وانفلات الأعصاب كالمصارعين، والسيدة روحية بجسدها النحيل مع الشال الداكن الذي يغطي نصف رأسها وجهها، وملابسها الريفية السوداء، التي تتعارض بشدة مع الأجواء المحيطة بها، ونظارة الشمس الداكنة التي ترتديها نتيجة لفقدانها البصر في حادثة شنيعة، قام بها قاتل متسلسل لم يرأف بوحدتها ولا ضعفها، مستخدما مطرقته التي لا ترحم.

وما لا يعرفه رواد المكان، أنهم هنا جميعا من أجل مطاردة روح قاتل متسلل قادم من ما وراء العالم، روح قررت أن تكمل مسيرة صاحبها الميت، لتغرق الأرض بالدماء والأشلاء.

وأنهم أقرب إلى فريق طاردي الأشباح الشهير، وإن لم يكن أي منهم يمتلك قدراتهم أو مواردهم، أو أدواتهم..

فقط ما يدفعهم للخوض في هذا الأمر، هو شعور مشترك بالذنب، لأنهم في جلسة تحضير أرواح مشؤومة وبمساعدة أحد المشايخ الذين يحترفون مثل هذه الأمور الدنسة، حاولوا استدعاء روح قاتل متسلسل من العالم الأخر، ففتحوا بوابة بين العوالم عبرت منها أرواح مجموعة من القتلة المتسلسلين، واحد تلو الأخر، ليعيثوا في الأرض فسادا، وليصنعوا خلفهم نهر من الدماء والأشلاء والرعب والفوضى.

وكان من الواضح أيضا، أنهم جميعا متوترين، ومرهقين بشكل كبير، وهذا ما ظهر جليا على وجوههم المرهقة، وأحاديثهم العصبية، وطريقة نظراتهم القلقة لبعضهم البعض، وتحفزهم الذي لا يخفى على أحد.

وبرغم حرصهم على عدم لفت الانتباه إلا أن صوتهم كان مرتفعا، ونقاشهم كان حادا!!.

- القضية هذه المرة مختلفة بشكل مزعج، وخارجة عن المألوف، وفي أسوأ توقيت ممكن.

قالتها زينب وهي تتنهد في قوة، وتنظر إلى ساعتها الرقمية في قلق، قبل أن تريح ظهرها على مسند المقعد

الاسفنجي الذي احتوى جسدها في نعومة، ليلتقط منها رأفت طرف الحديث، وهو يزج في فمه بعض أصابع البطاطس المقلية الغارقة في الجبن الأصفر السائل، التي يشتهر بها مطعمهم، ويقول في ضيق:

- لو اعتبرنا أن ما مررنا به من أهوال سابقة هو شيء مألوف، فكون الأمر هذه المرة يتخطاها، هو شيء يثير هلعي وحذري، فنحن برغم كل شيء غير مؤهلين لمواجهة ما هو أخطر من مجموعة من القتلة المتسلسلين، تحتفظ وزارة الداخلية بملفاتهم تحت بند سري للغاية، والأخطر أن أرواحهم، أو أشباحهم قد عادت بسببنا لتكمل جرائمهم الوحشية، إن جملة خارجة عن المألوف هذه تثير حفيظتي وتستفزني بشكل كبير.

أشاحت زينب بيدها في ضيق، ثم عادت لترمق ساعتها في توتر، قبل أن ترد عليه في حدة:

- لا داعي الآن للفلسفة أو التقعر في الحديث يا رأفت، إن ما أريد أن أخبركم به ببساطة، أن الأمر مختلف عن كافة القضايا التي قمنا بتتبعها وحلها مسبقا، وعن نوعية القاتل الذي يقوم بهذه الجرائم شديدة الدموية، ولو كان لديك أي تفسير أخر عن الأمر، فلتسعد أذني بسماعه وبدون فلسفة.

تناول رأفت المزيد من البطاطس المقلية الغارقة في الجبن

الشيدر السائل، قبل أن ينظر نظرة شاردة ذات مغزى إلى زينب، ويقول في هدوء:

- لا أعتقد أن هناك قواسم مشتركة كثيرة بين الأمرين، ربما هناك قاسم واحد مشترك؛ وهو أن من قتلتهم هي روح قاتل متسلسل عائدة من خلف البوابة المشؤومة، وهو ما يعني أن كل حديثي هذا، لا يضيف للأمر أي أبعاد جديدة، وما معناه أن علي أن أفكر مجددًا.

زفر موسى في نفاذ صبر، وهو يضرب بقبضته راحة يده في توعد، وقد ظهر على وجهه الغضب، وهو يقول في عصبية:

- ربما علي أنا أن أهشم رأسك الفارغة هذه يا رأفت؛ لتستطيع التفكير بطريقة صحيحة ومباشرة، أو لتقل (لا أعلم) ببساطة، دون أن تجوب بنا نصف العالم لتثبت عدم جهلك وعبقريتك و...

وهنا قاطعته السيدة روحية بشكل صارم:

- لا داعي للعنف أو الغضب يا أبنائي، إننا جميعا في مركب واحد، وأعلم أننا مررنا منذ فترة وجيزة بالكثير من الضغوط والخسائر، وأن هذه القضية لم تمنحنا الوقت الكافي للراحة أو التقاط الأنفاس، ولكن هذا ليس مبررا لنخرج توترنا

وعصبيتنا على بعضنا البعض، أو نلفت لنا الأنظار، ونفضح سرنا للعامة، علينا أن نركز أكثر، ونكون أكثر حذرا؛ فالأمر معقد ومقلق بشدة هذه المرة .

قالتها ثم صمتت، لتتأكد من أنها قد حازت على اهتمامهم جميعا كعادتها، ولما تأكدت من هذا، أكملت بنفس الهدوء:

- بالفعل الأمر خارج عن المألوف هذه المرة، فلم تواجهنا من قبل قضية فقيرة بالمعلومات إلى هذه الدرجة، كما أنه لا توجد في سجلات الداخلية، أي ذكر لذلك القاتل اللعين الذي يستخدم حيوان مفترس له أنياب حادة في تمزيق ضحايا بهذه الوحشية والدموية، ويختار ضحاياه بمثل هذه العشوائية.

إن الأمر بالنسبة لي مرعب ومؤلم، وما أتلقاه من طاقة سلبية ورؤى مشوشة عبر العالم الأثيري، يخبرني أن القضية هذه المرة فائقة الخطورة، وأن علينا أن نأخذ الأمر على محمل الجد، وألا يفقدنا إرهاقنا قدرتنا على التمييز أو التفكير، فلفقدان الأعصاب ثمن فادح في حالتنا هذه.

وبرغم حديثها الخطير، والكاريزما التي تتمتع بها، والتي ظهرت في طرحها لجوانب الموقف المبهمة، والمثيرة للإحباط، برغم جذورها الريفية العميقة، إلا أن رأفت تجاهلها كعادته، وأعاد توجيه السؤال الذي قفز إلى ذهنه في اللحظة

عينها، إلى زينب متسائلا في اهتمام:

- هل تأكد ابن خالتك حسنين من عدم وجود أي بيانات عن هذا القاتل الجهنمي في سجلات الوزارة، ربما لم يتعب نفسه بشكل كاف في البحث في السجلات هذه المرة؟.

نظرت نحوه زينب باستهجان، وقالت في غضب:

- لا يعجبني هذا الطرح، ولا هذه اللهجة يا رأفت، وكأنك تخبرني أني مقصرة في أداء المنوط مني، رغم أنني أكثر المتضررين في هذا الأمر منكم، لا أسمح لك أن تتجاوز حدودك بهذه الطريقة، و....

وهنا ضرب موسى المائدة بقبضته القوية مرة أخرى، فكاد أن ينقلب أحد أكواب الكولا على الأرض، لولا أن قبض عليه رأفت بسرعة، وأعاده إلى مكانه، وهو ينظر باستهجان إلى رأفت، وصرخ فيهم قائلا:

- تبًا، تبًا، ليس هذا وقت الخوض في تفاصيل فرعية لا طائل منها، لا يهم أي منا المتضرر أكثر، كل ما نريده أن نتأكد من جدية بحث حسنين في هذه القضية اللعينة، التي لا يوجد طرف خيط واحد يساعدنا على التحرك فيها.

ظهر الغضب على ملامح زينب، وكان من الواضح أنها تريد أن تخوض شجارًا سريعا تفرغ فيه توترها، ولكنها لسبب ما،

ربما هي ملامح السيدة روحية الواجمة، أو منظر موسى الغاضب الثائر، ففضلت ألا تجعل الأمور تتفاقم وقالت في نفاذ صبر:

- للمرة الألف أخبركم أنني لم أصمت أو أجعل الأمر يمر مرور الكرام عندما أخبرني حسنين أن هذه القضية لا توجد بداخل سجلات، أو ملفات القضايا الباردة في وزارة الداخلية، وأن القاتل هذه المرة مجهول الهوية تماما، وأن قضيته لم يتم التحقق منها أو رصدها أو تسجيلها في سجلات الوزارة العامة أو السرية، وأحضرت لكم كل المعلومات الممكنة حتى هذه اللحظة.

وبكل تلقائية رد رأفت:

- ربما تكون المعلومات التي نطلبها منه، على قدر أعلى من السرية، فلم يستطع الوصول إليها بصلاحياته الحالية.

علق موسى بضيق:

- النتيجة واحدة في كل الأحوال، لا توجد لدينا أي معلومات واضحة، أو نقطة انطلاق نبدأ منها لنحل هذا اللغز المعقد، ولنعرف دوافع هذا القاتل الجهنمي الدموي، كي نعيد روحه الملعونة إلى عالمها، لا يوجد لدينا غير رؤى السيدة روحية، وإحساسها الفائق الذي لم يخطئ منذ بدأت هذه

اللعنة، لا معلومات عن القاتل أو الضحايا، ولا رابط بينهما، نحن نبحر في بحر الظلمات من جديد.

وهنا قال رأفت بلهجة العالم ببواطن الأمور:

- ولكن الأمر ليس شديد الغموض إلى هذه الدرجة، نحن نعرف أن هناك روح قاتلة عبرت البوابة، وأنها إلى حد كبير قادرة على الاستحواذ على عقول الحيوانات أو أجسادهم، وأنها تستخدم حيوانا مفترسا مجهولا في مهاجمة الضحايا، وأن الضحايا مزقوا شر ممزق، وأن هناك أجزاء مفقودة من الجثث حسب المعلومات التي حصلت عليها زينب من حسنين.

قالها ثم صمت ليلتقط أنفاسه وأكمل:

- كما أننا نعرف منطقة عملياته، وأماكن مسارح جرائمه.. تتبع الأمر لن يكون سهلا، ولكنه لن يكون مستحيلا باستخدام قدرات السيدة روحية، علينا فقط أن نعمل بجهد أكبر وبشكل منظم، ونقسم الليلة إلى فريقين لتوفير الوقت، ونبدأ في جمع كل المعلومات الممكنة عن الضحايا، وملابسات كل حادث، وتلك الهويات الصحفية التي قمت بإعدادها لنا جميعا ستمنحنا بعض المصداقية أمام الناس، مع العلم أنه لا أحد يتساءل كثيرا أمام الإعلام، علينا فقط أن نكون مقنعين لا أكثر .

ظهر القلق والضيق، على وجه زينب، وهي تنظر إلى ساعتها قبل أن تقول في يأس واحباط:

- أعتقد أن علينا إرجاء الأمر إلى الغد، لقد وعدت حسنين بالخروج معه هذه الليلة، هناك فيلم رومانسي سخيف في السينما، ويرغب في... .

نظر نحوها موسى غير مصدق حديثها، وقاطعها بغير وعي قائلا:

- لا يمكن أن يكون هذا عذرا مقبولا يمكن أن تسوقينه لنا يا زينب، إن الأمر خطير بحق ولا يقبل تأجيل.. هناك أبرياء يدفعون حياتهم ثمنا لحماقتنا بالفعل، ولا مجال لأن نعلق في أعناقنا ذنب المزيد منهم.

كان من الواضح أن هناك سر غامض لم تخبرهم به زينب، أو أن علاقتها بحسنين تمر بأحد المنحنيات الحرجة، وهذا ما جعلها منذ بداية اللقاء شديدة التوتر والتحفز والقلق والعصبية، وربما هذا ما جعلها تقول بكل غضب وحدة، وبلهجة صدامية:

- ونحن أيضا بحاجة لحسنين يا موسى .. لن يصلح طوال الوقت أن أقوم بتجاهله أو تجاهل رغباته البسيطة هذه، أنت لا تعرف عقليته، ولا يمكن أن أتحجج له بعذر أن هناك قاتل

متسلسل من خارج عالمنا يستحوذ على حيوان مفترس، ويستخدم هذا الحيوان الجهنمي في نهش ضحاياه، وأنني سأقضي الليلة مع رجل أخر أتتبع آثاره. إنه يحرجني باستخدام أمي، ومن أجل ورطتنا هذه على أن أجاريه.

رمقها موسى في ضيق، فهو يعلم كم تنفر زينب من التعامل مع حسنين، بسبب لزوجته وثقل دمه، وأنها لولا وظيفته المهمة في وزارة الداخلية، والتي هي مرجعهم الوحيد في تتبع ملفات القتلة المتسلسلين العائدين من وراء البوابة، لما وافقت على مجرد ذكر أسمه في أحاديثهم، ولكنه رغما عنها ورغما عن الجميع أصبح أحد أفراد الفريق، حتى لو كان يجهل معظم التفاصيل الهامة التي تخصه وتدور في الكواليس..

وعندما هم موسى بالحديث، أشارت له السيدة روحية أن يصمت، وقالت بصوت صارم، اجتمع مع لهجتها الريفية العميقة ونظارتها السوداء ليجعل لكلماتها وقع أعظم وأخطر:

-الموضوع شديد الخطورة يا بنيتي، كما أنها ليست لمرة الأولى التي تتعاملين فيها مع مأزق حسنين الذي لا ينتهي.. إن هذه الروح غاضبة بشكل غير مسبوق أو مفهوم.. وتختلف في هيئتها عن كل ما تقذفنا به البوابة الملعونة من قتلة.. إنني أشعر بشر عظيم ومظلم يجتاح العالم الأثيري، إن

شلال الدم المتدفق لن يتوقف ولن ينتظرنا..

علينا جميعا أن نكون على قدر كبير من المسؤولية، تحججي لحسنين بسوء الطقس أو أي بأي عذر أخر، أنت أكثر شخص في العالم يفهمه، وكل امرأة في العالم قادرة على إقناع الرجل الذي يهواها بما تريد متى شاءت.

هزت زينب رأسها في يأس، وكأنها تريد أن تقول لهم ما يضنيها، ولكنها أكتفت بأن قالت في توتر:

- ولكن حسنين لن يغفر الأمر هذه المرة.. لن يغفره أبدًا، وربما تسبب لي في العديد من المشكلات مع أمي، أو في محيط عائلتي، إن عقليته متحجرة، فلأنه يكن لي بعض المشاعر يعتقد أني ملكه بشكل أعمى، ويعاملني على هذا الأساس، وهذا يضغط على أعصابي بشدة.

أشاحت السيدة روحية بيدها، لتنهي الحديث في هذا الأمر عند هذه النقطة، ثم أضافت:

- لا أعذار الليلة يا زينب سنبدأ بحثنا في الثامنة مساءا، هناك مسرحان للجريمة كما أرشدتني الرؤى علينا فحصهما، كما أن على عاتقك، أن تقنعي حسنين بمنحنا كل ما تم جمعه بواسطة الشرطة من معلومات عن الضحايا، وعناوينهم، وأي خلفية يكونون قد توصلوا لها عن حياتهم، كل معلومة مهما

كانت تافهة ستفيدنا في مسعانا.

صرت زينب على أسنانها ثم قالت في غضب:

- لقد أخبرتكم بالفعل أني راسلته بالفعل على الواتس أب، وطلبت منه المساعدة في جمع هذه المعلومات، عليكم أن تقدروا موقفي.. إنكم جميعا هذه المرة تقودوني نحو المشاكل معصوبة العينين واليدين، لا أعرف لماذا وافقت منذ البداية على القيام بجلسة تحضير الأرواح المشؤومة هذه؟.

أجابت السيدة روحية بتلقائية:

- إنه الفضول يا بنيتي .. الفضول الذي صنع مصائب كثيرة، كما أنه لا أحد يختار مصيره.

لم تستطع زينب السيطرة على أعصابها، فانفجرت قائلة:

- توقفي عن الحديث بهذه الطريقة لو سمحت يا خالة روحية، فأنت لست مسز ماربل، في أحد روايات أجاثا كريستي، ونحن لسنا هنا في أحد أفلام الحمقى والساحرة الشريرة، إن سمعتي على المحك، وعقلي الأحمق يخبرني أنه علي أن أقوم بواجبي، لأن انقاذ حياة واحدة يجعل الأمر برغم كل شيء يستحق، فلا تضغطي علي أعصابي أكثر.

ردت عليها السيدة روحية بهدوئها المعتاد، متجاهلة ما في

حديثها من استفزاز، وقالت برصانة:

- إنك مضغوطة بشدة يا بنيتي، ولذلك تجدي كل شيء يحتوي على بعض المبالغة، من هن مثلك الآن يقضون ليلتهم في سماع الأغاني الرومانسية الحالمة، أو محادثة من يهتمون لأمرهم، دون أن يشغلن بالهن بالقتلة المتسلسلين، ونافورة الدماء التي تغرق كل شيء.. ولكنه قدرنا يا بنيتي، وأنا أحاول أن أهون الأمر عليك فقط، ويكفي أنه يستحق لتريحي ضميرك، ولتعبري موجة غضب حسنين القادمة.

لم تنطق زينب بكلمة واحدة، وإن ظهر على ملامحها أثار الصراع الداخلي الذي تمر به، فأشاحت بوجهها المحتقن بعيدا عنهم، وأخذت تتأمل المارة عبر واجهة المحل الزجاجية التي أغرقتها مياه الأمطار، فظهرت لها كدموعها التي تجاهد لكتمانها، مما شجع رأفت على الخوض في الحديث فقال بلهجة العالم والخبير التي لا يكف عن تقمصها، بعد أن جرع أخر جرعة من الكولا الباردة:

- أعتقد أنه بحساب قوانين الاحتمالات، ودراستي الشخصية لعقلية حسنين وظروف نشأته، وتعلقه بك، أنه قد يكتفي باعتذارك، ومحاولة تحديد موعد أخر، إنه لا يستطيع مقاومة سحرك و...

وهنا منحته زينب نظرة نارية، قبل أن تصرخ في وجهه:

- أعتقد أننا سنترك قضية ذلك القاتل المتسلسل اللعين، وحيوانه المفترس، ونقوم ببحث ودراسة شاملة عن مشاعر حسنين تجاهي.

وهنا عادت السيدة روحية لتتناول دفة الحديث، لتجهض أي شجار متوقع وقالت في سرعة:

- لا داعي للغضب أو العصبية يا أبنائي، كل منا يدرك دوره الآن، وعلينا التحرك بشكل سريع، فالطقس يزداد سوءا، كما إنني أشعر بتلك الروح المظلمة تعد نفسها للمجزرة التالية، إنها لا تبذل أي مجهود لتخفي آثارها، وكأنها تتحدانا أو في أسوأ الظروف لا تبالي بوجودنا.

قالتها ثم أخذت تزوم لعدة دقائق، مرت عليهم كدهر، وهم يحاولون إفاقتها، قبل أن تنتفض في قوة، وتعود لطبيعتها، وهي تلهث، وتتنفس في اضطراب، لتستطرد قائلة:

- يا إلهي لقد تواصلت معي هذه الروح البغيضة بشكل مباشر وقوي، إنها أبشع من كل تخيلاتكم، إنها شر خالص بشكل يصعب علي استيعابه.. علينا أن ننسى كل شيء عن خطتنا القديمة التي اقترحها رأفت، ونتجه إلى هؤلاء اليتامى الموجودين في مدينة كفر الزيات، إنها تستهدفهم، إنها تنوي القيام بمذبحة.

وهنا اتسعت عينا زينب في هلع، وهي تحدث نفسها، أنها لا يمكن أن تغادر القاهرة إلى أحد الأقاليم في مثل هذا الطقس المخيف، فلابد وأن حسنين سيقلب عليها الدنيا، ليتها لم توافق على منحه مثل هذا الموعد، لذا فقد اتسعت عيناها في رفض واستنكار، وهي تتساءل بقنوط:

- وأين توجد كفر الزيات هذه ؟!.

أجاب رأفت بسرعة:

- ألا تشاهدين التلفاز أبدًا، إنها في محافظة الغربية، قريبة جدا من مدينة طنطا، وقد قضت فيها ريا وسكينة جزء من حياتهم فيها.

نظرت له زينب في دهشة، وهي تتساءل:

- ومن أين استقيت هذه المعلومات أيها الجهبذ؟.

رفع رأفت أنفه باعتداد، ثم قال بشكل جدي:

- من مسلسل ريا وسكينة، إنني أهيم به و...

وهنا عاد وجه موسى ليكتسي بالغضب، ويقول في صرامة:

- اللعنة، اللعنة، ماذا أصابكم جميعا اليوم، ألن تكفا عن هذه المهاترات، لقد تركنا أعمالنا وأشغالنا، ونواجه بالفعل خطرا

حقيقيا، وعلينا أن نتحد ونركز بشكل كامل، كي ننقذ هؤلاء الأبرياء الصغار من براثن ذلك القاتل الجهنمي المخبول..

لا مجال لأفعال الأطفال هذه، إننا مجبرين جميعا على الخوض في الأمر حتى نهايته، مهما كانت خسائرنا وتضحياتنا، فنحن من بدأ هذه اللعنة، ونحن من سندفع الثمن.

وهنا رد رأفت بسرعة:

-إذا سنذهب إلى كفر الزيات .

وكأنها لم تسمع ما قاله موسى، رددت زينب بصوت خافت:

-وحسنين؟.

رد رأفت بتلقائية:

- أخبرتك أنه لن يتسبب في مشاكل عظيمة لك، بسبب موعد أخلفته؟.

وهنا عادت لتنفجر، وقد فرت دمعة حبيسة من عينيها وهي تقول بغضب كاسح أعمى:

- اللعنة عليك وعلى قوانين الاحتمالات يا رأفت، أنا مرهقة بشدة، ولم أحظى بلحظة راحة واحدة، أو استقرار نفسي، منذ فتحت تلك البوابة اللعينة، وألقت علينا بقتلتها

الدمويين.. إن أفعالي الغريبة في الفترة الأخيرة، وكثرة تنقلاتي وغيابي لا يثير جنونه وحده، بل يثير جنون عائلتي أيضا!.

إنني فتاة من عائلة محافظة، ولست مثلكم.. لابد أن تراعوا تلك النقطة جيدا إننا في مجتمع شرقي متزمت، يذبح الفتاة لمجرد الشك حتى لو لم تتوفر الأدلة، وأنت يا جهبذ ألم تتوصل بعبقريتك الفذة لوسيلة سريعة تمكنا من اغلاق هذه البوابة المشؤومة إلى الأبد، كي نتحرر جميعا من هذا الدين الدموي الثقيل الذي يثقل كواهلنا.

أدرك رأفت ما تمر به من ضغوط واضطرابات، وقرر ألا يضغط عليها أكثر، لذلك فإنه فكر للحظة ثم أجابها بسرعة، وبشكل عملي دون الخوض في موضوع حسنين:

-أعتقد أن موتنا جميعا يغلقها بشكل نهائي وحاسم، فهي بشكل ما قد ارتبطت بوجودنا معا في تلك الليلة المشؤومة التي حضرنا فيها روح القاتل المتسلسل الأول، وأعتقد أنها ليست وسيلة مشجعة لإنهاء الأمر، وأنا بالطبع لن أدعمها بأي حال من الأحوال، فأنا لا أرغب في الموت قريبا، مازال العالم بحاجة لي ولـ.....

وهنا قاطعته السيدة روحية بطريقة حاسمة، وقالت في هدوء مصطنع:

- لا أحد منا يرغب في الموت يا ولدي، ولا التسبب في موت أي شخص بريء أخر، وهذا لا يترك أمامنا أي خيارات أخرى لنتبناها أو نطرحها للنقاش، فليس أمامنا إلا الذهاب إلى مدينة كفر الزيات، سأقودكم عبر الطريق، وأتمنى ألا نجد عندما نصل جثث بعض الأطفال تم تمزيقها، وافتراسها، وهم على قيد الحياة.

وهنا نظرت نحوها زينب في هلع، دون أن تجرؤ على سؤالها إن كان ما تقوله مجرد أمنية، أم هو رؤية وتنبؤ.

فمن الجلي أن كل الأمور تتجه من سيء إلى أسوأ، وكل شيء يوحي بشر كبير في الأفق.

وفي يأس كبير رمقت شاشة هاتفها المحمول، وأعادت قراءة رسالة حسنين الأخيرة، التي يخبرها فيها أنه ينتظرها.. ثم تنهدت في عنف..

وكان من الواضح أن كل شيء في حياتها سينقلب رأسا على عقب.

كل شيء بلا استثناء.

حسنين

-احترس يا موسى.

قالتها زينب، وهي تشاهد موسى يمرق بسيارته الغارقة في الوحل بين سيارات الأجرة، والميكروباص، والتكاتك، التي تتصارع لتعبر الطريق الزراعي شديد الازدحام، وهو يعاملها بالمثل، ويتفاداها بزوايا حرجة، أقل ما يقال عنها جنونية!!

كانت تنظر نحو الطريق الممطر المظلم بتوتر، وهي تقبض بيديها على جانبي مقعدها، ذاهلة - لقد جاء شراء موسى لتلك السيارة وبالا على رؤوسهم- ولا تعرف حتى هذه اللحظة كيف يستطيع القيام بهذه الحركات البهلوانية، وسط الليل، والطريق الزلق، والأمطار الغزيرة.

الأمر كله جنوني، وكأن كل من على هذا الطريق يسعى للموت أو الانتحار، ولسبب قدري لا يحدث الأمر، ولا تقع الكارثة.

حاولت ألا تركز على الطريق الضيق، الذي لم تكن تراه إلا طريقا باتجاه واحد صوب القبر، وطفقت تتأمل الأراضي الزراعية التي كانت ممتدة على جانبي الطريق، فظهرت لعينيها موحشة وسط المطر والظلام، فتحاشت النظر إليها، ودفنت وجهها في هاتفها المحمول، تعبث به دون وعي، في

حين كان موسى يواصل قيادته المتهورة، وهو يقول في حماس راعي بقر متهور:

-إن هذا الطريق هو الاختبار الحقيقي لمهارة كل سائق فذ، من سيتردد لحظة واحدة سيلتهمونه حيا، عليك أن تثبت لكل هؤلاء السائقين الأوغاد، وخاصة سائقي الميكروباصات، أنك أحد عفاريت الأسفلت.. إن للسائقين في هذه المحافظة قانونهم الخاص الذي لا يرحم.

صرخ به رأفت وقال:

- اللعنة يا موسى، عليك أن تقلل من سرعتك، إن قوانين الاحتمالات ترجح موتنا جميعا في حادث بنسبة ٨٧ ٪.. إن الـ....

قاطعه موسى، وهو يخفف من سرعة انطلاقه لأنه لمح على البعد أحد المطبات الصناعية غير الرسمية؛ التي ينشئها الأهالي على الطريق، لردع من هم على تهوره، غير مبال برأفت أو قوانين احتمالاته، التي أثبت حديثه التالي أنها لا تشغله، عندما قال بلهجة الخبير، العالم ببواطن الأمور:

- قوانين الاحتمالات هذه تعمل في أي مكان في العالم إلا مصر، نحن هنا على قيد الحياة لسبب وحيد؛ وهو بركة دعاء الوالدين، لو طبقنا القوانين الفيزيائية والكونية هنا، لن يتبقى

منا فرد واحد على وجه الأرض.

توترت السيدة روحية التي كان من الواضح أن قيادة موسى لا تبهجها كثيرًا، وتسبب لها نوع من الدوار والغثيان، فقالت بصوت مضطرب:

-لقد أوشكنا على الوصول يا موسى، كفاك رعونة، إننا نقترب من هدفنا بالفعل، لا داعي لاستنفاذ مخزون البركة والدعاء بسبب قيادتك المتهورة، كي لا نجد أنفسنا في مصيبة جديدة.

وقبل أن يعلق أي منهم بحرف واحد، رن هاتف زينب المحمول واهتز في يدها، فشهقت زينب في قوة، وساد وجهها الاضطراب، وهي تضغط بتلقائية على زر الرد، ليأتيها صوت حسنين اللزج الذي كان من الواضح أنه شديد الغضب وهو يقول بصرامة ممزوجة باللوم:

- مساء الخير, الأنسة المحترمة لم تعد إلى منزلها حتى الآن، في هذا الطقس السيء، لعل المانع خيرا!.

ردت بتوتر واضطراب:

- مساء الخير يا حسنين.. إنها قضية جديدة، أتقصى أخبارها من أجل كتابي القادم، أنا مع السيدة روحية، و.....

قاطعها بصوت صارم قانط:

- واثنان من الرجال الأغراب، تطاردان أخبار قاتل مجهول، قادم من ما وراء العالم، لقد مللت من هذه الاسطوانة المشروخة، كم أتمنى أن يفتك بك ليريح قلبي وعقلي من جنونك...

هل نسيت أنني بت أعلم حقيقة ما تقومون به، أنت بنفسك أخبرتني به، عليك أن تتذكري هذه النصيحة جيدا:(إذا كنت كذوبا فكن ذكورا) لأنني لا أنسى أي شيء يتعلق بك، وأنا من أنقذتك بصلاتي ونفوذي، حياتك أنت وفرقة المهرجين المصاحبين لك في مغامرتكم السابقة .

ردت زينب بصوت مختنق:

- هناك أطفال أيتام أبرياء سيموتون لو لم نقم بما علينا القيام به يا حسنين، ولقد أرسلت إليك في وقت سابق كافة المعلومات، وأخبرتك أنني في طريقي إلى مدينة كفر الزيات و....

قاطعها بصوت لائم غاضب:

- نعم.. فأنا فقط سجلكم المدني لهؤلاء القتلة المجهولين.. هذه كل فائدتي في حياتك يا زينب، مجرد مصدر أحمق للمعلومات، يجازف بوظيفته الرسمية من أجلك، ومن أجل

الخزعبلات التي تؤمنين بها أنت وتلك الشلة الملعونة التي لا أعرف كيف غرروا بك لتصحبيهم في جولاتهم المشؤومة، ومطارداتهم الحمقاء....

وهنا قاطعته زينب، وهي تكاد تذرف دموعها، وقالت في رجاء:

- لا يا حسنين أنت خير العون والسند لي، ومن ألجأ له حينما تغلق الدنيا أبوابها أمامي، لا يمكن أن تتبنى هذه الفكرة عني، و...

أختنق صوتها فلم تستطع أن تتم حديثها، فأتي صوت حسنين المأخوذ من رقتها، وهشاشتها ليقول في دهشة عارمة:

- أنا يا زينب.. أنا عونك، وسندك، ومن تلجئين له.. أين كان كل هذا الكلام الرقيق طوال الأيام السوداء الماضية، لماذا كل هذا النكد والصراعات السابقة إذن؟.

أجابت زينب وهي تحاول أن تظل على تماسكها، وافتعالها للمشاعر غير الموجودة:

- أنت تعرف كم الضغوط التي أمر بها يا عزيزي حسنين، لقد انقلبت حياتي رأسا على عقب، منذ قمنا بجلسة تحضير الأرواح المشؤومة هذه.

وللمرة الألف يقاطعها صارخا:

- لا أعرف كيف يمكن أن تؤمن فتاة متعلمة مثلك بمثل هذه الخزعبلات، لا بد من وضع حد لكل تصرفاتك الرعناء هذه عند عودتك، إن ما تقومين به لا يناسب حتى أخلاق فتاة شوارع، لا أنسة من بيت محترم، لنا وقفة صارمة بعد عودتك....

علت وجهها ابتسامة باهتة، ودقات قلبها تنتظم، برغم الطريقة المهينة التي يحدثها بها، فهي ترى أنها تستحق أكثر من هذا، فهي من بحاجة له، وهي من فتحت له المجال، وتورطت معه في علاقة زائفة، بعد أن تورطت في كارثتها الكبرى، وفي النهاية رأت أنها قد عبرت هذه المحنة بأقل الخسائر الممكنة، فقاطعته قائلة:

- هذا هو ابن خالتي الهمام الذي أعرفه، وهذا هو ما أتوقعه منك.. أنا أسفة على كل لحظة ضيق تسببت لك فيها، الضغوط التي حولي شديدة، وأشكر تفهمك لها، أنت نعم العون والسند.

شعر حسنين بأنه تم خداعه بشكل ما!

ولكنه كان في حالة من البهجة، بعد أن نعتته بعونها وسندها، وابن خالتها الهمام، وقرر ألا يفسد تلك اللحظة

النادرة، ولأنه أراد أن يثبت ويؤكد هذه الصفات التي نعتته بها، لذا فإنه تقمص دور رجل الأمن القوي، وقال بشيء من الصرامة والعملية:

- لقد تحريت عن المعلومات التي أرسلتها لي على الواتس أب، لا أعرف كيف تصلكم هذه المعلومات برغم أن بعضها يقع تحت بند سري للغاية، ولولا ثقتي بك يا زينب، لقلت أنكم تنتمون جميعا إلى عصابة محترفة، أو منظمة إجرامية شديدة الخطورة تعمل على استغلالي، وتجهز لكارثة كبرى في المستقبل القريب، وعلى كل حال...

وهنا نزعت زينب الهاتف من على أذنها، وقامت بتشغيل مكبر الصوت، ليدوي صوت حسنين المرتفع في فراغ السيارة، لينتبه له الجميع، وينصتون في تركيز شديد:

- الجثتين في الموقع الأول، كانا لاثنين من المسجلين خطر اتجار بالمخدرات، حمد أبو طالب، وشوقي القرد، وقد تم قتلهما والفتك بهما، وتمزيقهما حسب تقارير الطب الشرعي في نفس التوقيت تقريبا باستخدام أنياب حادة شديدة الانتظام..عزاها الطبيب الشرعي لكونها تمت بواسطة حيوان ضاري مجهول، ينتمي لفصيلة الكلبيات، وهي الفصيلة التي تشمل الكلاب والثعالب والذئاب وابن أوى وغيره، وهذا ما أكدته البقايا الموجودة على أجساد الضحايا..

ولكن ما لا يجد له تفسير هو الأنياب والمخالب التي فتكت بالضحايا، فنظرا لحدتهم الشديدة وانتظامهم، تبدو للفاحص وكأنها أنياب ومخالب صناعية تم صقلها بوسيلة متطورة لا يعتقد أنها متوفرة في العالم، وإن كانت البقايا المتشابهة واختبارات الدي إن أيه، تنفي كون الأمر تم تزيفه، وإن لم يوضح حدة الأنياب والمخالب، وشكل طبعات الأسنان على بقايا الضحايا.

قالها ثم صمت قليلا، وكأنه يعيد تنظيم المعلومات في عقله قبل أن يضيف في حماس:

- وقد عثر رجال المعمل الجنائي بالقرب من الجثث الممزقة، والأشلاء المتناثرة على حقيبتان، إحداهما تحتوي على مبلغ مالي كبير، والأخرى تحتوي، على كمية متنوعة من المخدرات وحبوب الهلوسة.. مما ينفي أن المال أو المخدرات كانا السبب في ارتكاب الجريمة، وأن من ارتكب الجريمة، ارتكبها بدافع انتقامي بحت، أو أنها جريمة افتراس عادية كتلك التي كانت تقوم بها السلعوة، ذلك الحيوان الغامض، الهجين ما بين الكلاب البرية، والذئاب وابن أوى.

وما يؤكد الفرضية الأخيرة أن الجثة الأولى برغم تمزقها الشديد، قد فقدت عيناها، والجثة الثانية قد فقدت قلبها، ومن المرجح أن تلك الأجزاء تم نزعها من أجسادهم، وهم

على قيد الحياة، والفاعل كما سبق وأشرنا، حيوان مفترس مجهول، له أنياب حادة بشكل غير متوفر في الطبيعة .

أنهى جملته الأخيرة، ثم توقف ليلتقط أنفاسه، فتبادل الجميع النظرات المندهشة المصدومة، وتأهبوا للاستماع للقادم من حديثه، فأكمل قائلا:

- أما عن الموقع الثاني والذي كان شديد الفوضى والاضطراب، فلم يكن يحتوي إلا على ضحية واحدة، كانت ممزقة بشكل أبشع، لا يمكن وصفه، وصنفها الطبيب الشرعي كأحد جرائم الكراهية..

فجسدها تم تمزيقه ببطء ووحشية، وتم سحق رأسها في همجية شديد، وهي ترجع إلى سيدة أعمال متوسطة الشهرة، تدعى سميرة الديب، ومتزوجة من رجل أعمال أرمل يدعى ممدوح المليجي، وعثر على الجثة في منتصف حمام السباحة الموجود في فيلته، كما عثر على كلبها الأليف ممزق أيضا، وقد فقد معظم أعضائه، وأطرافه الأمامية، والشيء الغريب هنا، هو ما رصدته كاميرا المراقبة الخارجية أثناء تنفيذ الجريمة.

انتبه الجميع لحديثه، فقال:

- ما تم رصده هو عبارة عن فيض غريب من الطاقة عزاه

التقنيون لخلل في الكاميرا نفسها، ولكنهم أدرجوه في تقريرهم لأنه خلل لم يتم رصده من قبل، وكان في نفس توقيت الجريمة..

وحاولت أنا أن أجد رابطا بين الضحايا في الموقعين فلم أجد شيء ذا أهمية، فما الذي يربط مسجلان خطران يعملان في تجارة المخدرات، بسيدة أعمال متوسطة الشهرة لديها مصنع أجبان، ومصنع للملابس الجاهزة، ومزرعة ثعالب.

وهنا لم تستطع زينب الصمت فسألته:

- ألم تفقد الجثة في هذه المرة أي من أجزائها؟.

أتى صوت حسنين مضطربا، وهو يتنفس بعمق عبر مكبر الصوت، ويقول باشمئزاز حقيقي:

- لا أعرف كيف أغفلت هذه النقطة، بالفعل لقد فقدت هذه الجثة رحمها، ولستم بحاجة لأن أخبركم أن الأمر تم وهي على قيد الحياة أيضا، وكأن هذا الوغد يستمتع بتعذيب ضحاياه قبل الفتك بهم بواسطة حيوانه الغامض.. ولا أعرف إن كان هذا ذا أهمية أم لا ولكن جريمة قتل سيدة الأعمال، تمت قبل جريمة قتل المسجلين خطر بعدة أيام.

أنهى حديثه فأغلقت زينب مكبر الصوت، وبصوت هامس كررت اعتذارها لحسنين، الذي عاد يتحدث إليها بصرامة

مستغلا ضعف موقفها:

- لا تعتقدي أن الأمر انتهى عند هذا الحد يا ابنة خالتي الحبيبة.. عندما تعودين سيكون لنا حديث أخر طويل، وسنحسم فيه العديد من الأمور المعلقة.. سأرسل لك رقم المقدم حسان، وهو صديق قديم لي يعمل في قسم الشرطة الواقعة ضمن دائرته كفر الزيات، في حالة لو تعقدت الأمور عندك، وأنت جيدة جدا في فعل هذا؛ عليك التواصل معه على الفور عند الحاجة، أنا لن أستطيع نجدتك من موقعي هذا، وأنا متأكد من أنك واقعة في مصيبة لا محالة.

ابتسمت زينب لملاحظته، وشكرته برغم هذا، وأغلقت الهاتف، ليرتفع صوت رأفت قائلا بحكمته المعهودة:

- لقد أخبرتك أن قوانين الاحتمالات تقول.....

وهنا اختلط صوت السيدة روحية، بصوت زينب في كلمة واحدة مدوية أجبرته على الصمت:

- أخرس.

المواجهة

توقف موسى بسيارته التي غير الوحل لونها، أمام باب الملجأ الوحيد الموجود في المدينة، وقرأ لوحته القديمة التي تؤكد ذلك، ثم رمق مع رفاقه السيدة روحية التي شعرت بنظراتهم كعادتها، وقد كسى الشحوب والتوتر ملامحها، وبدا على وجهها القلق وعدم الارتياح، في حين شعر الجميع بانقباض في قلوبهم، لتفاجأهم شهقتها وهي تقول في فزع شديد:

- يا إلهى .. إنها هنا.. إنها هنا!!.

تحفز الجميع لقولها، وأخذوا يتلفتون حولهم في قلق، في حين عادت هي لتتوتر وتتحدث بصوت عميق يختلف عن صوتها المعتاد، وهي تشير إلى الأمام في عصبية:

- عليك أن تقود السيارة إلى الأمام بسرعة، إنها بالقرب من هنا، إنها تقترب منهم.. وهج الضوء الأزرق يمنعني من الرؤية جيدا.. إنني أراها الآن، إنها ستفتك بهم.. إن هذه الروح شر لا مثيل له.

ضغط موسى على دواسة الوقود لتتحرك السيارة، وتتجاوز بوابة الملجأ المغلقة، ناثرة حولها الوحل، ومياه الأمطار، وهو يفكر في الأطفال المساكين المستهدفين، وأي

جزء ستقتطعه منهم تلك الروح الدموية، وروحه تتمزق من هول الفكرة، فهو من تسبب في كل هذا، فأخذ يفكر دون صوت:

ما ذنب الأطفال؟! ولماذا الأيتام بالذات؟! وهل لهذا مدلول ما؟!

كان الملجأ في مكان نائي، وبجواره بعض المحلات المغلقة، التي تدل على كونها ورش حدادة، وورش صيانة سيارات قديمة، وكان الجميع يتوقعوا أنه طالما ذُكر الأيتام، فهو ذاهبون إلى الملجأ لا محالة، ولكن توجيهات السيدة روحية الجديدة قادتهم إلى بيت قديم متهالك ذو نوافذ مشرعة محطمة، يقع بين عدة مبان أخرى لا تختلف حالاتها عن حالته، على بعد عدة شوارع من مكان الملجأ.

البيت القديم في هذا التوقيت المتأخر، ومع حالته الإنشائية السيئة، وتلك العزلة التي فرضها الطقس السيء والظلام المحيط به، كان مريبا كي يتواجد به أي أحياء..

المطر كان قد توقف منذ فترة قصيرة، ولكن البرد والريح على أشدهما، وكأنهما ينذران بعاصفة أخرى قادمة لتطيح بكل شيء.

رمق الجميع البيت المظلم في توجس، دون أن يقرر أي

منهم الهبوط، أو اتخاذ أي رد فعل، لدرجة أن السيدة روحية صاحت بهم في غضب وتوتر:

- ماذا تنتظرون؟.

قال رأفت في توتر:

- إن الأرض زلقة، والمكان مظلم ومخيف، ونحن لن نقدم على اقتحام هذا المكان المجهول دون خطة.. كما أن حركتك ستكون.. لا أقصد.. ولكن في هذا المطر حتى المبصرون سيعانون.

طريقته كانت وقحة وفجة، ولكنها لخصت الأمر بالكامل، وبثت بعض القلق والتوتر في عروقهم، وإن لم تثر سخط السيدة روحية، التي لم تعد تبالي بمثل هذه السخافات والتعليقات..

وإن لاحظوا جميعا بلا استثناء، أنها في هذا التوقيت الحرج بالذات، لم تكن في حالتها الطبيعية، فقد أخذت تنوح وتبكي وهي تقبض على جانبي رأسها، وهي تقول في هلع:

- أنا لم أواجه شر مماثل من قبل.. إن الروح تقتلهم .. تقتلهم بدم بارد.

وفي هذه اللحظة انتفض موسى، وهو يهتف في هلع:

- هل أنت متأكدة من أن تلك الروح المقصودة في هذا المكان المهجور؟.

هزت رأسها وقد ظهر على وجهها أثر المعاناة، بالرغم من مصباح السيارة الداخلي الشاحب، ثم قالت في ضيق:

- ما هذا الهول الذي أراه، إن هذه الروح البغيضة لا تشبه ما سبق أن رأيته من أرواح من قبل، إنها مختلفة بشكل مرعب.. إنها شيء شرير.. مظلم بشكل لا يمكن تخيله.. إنها بالفعل في هذا البيت المهجور، تحديدا في الطابق الثاني علوي، ألا ترون الأضواء، ألا تسمعون الأصوات والصرخات والأنين؟!.

لم تكن هناك أي أضواء أو صرخات أو أنين يخرج من البيت المظلم ، مما دفعهم ليعيدوا النظر إلى البيت مجددا، قبل أن تعود أبصارهم كاسفة، لتقول زينب في عصبية:

- البيت صامت مظلم كقبر يا سيدة روحية، ولا يوجد أي أدلة على وجود أحياء بداخله، هل أنت متأكدة مما ترين؟!.

انفجرت السيدة روحية في موجة عنيفة من البكاء، وهي تردد في ذعر واضطراب شديدان:

- الرؤية مشوشة، ذلك الوهج الأزرق يزعجني، ولكني واثقة من وجودهم، ووجود هذه الروح المظلمة حيث أخبرتكم.. إنها تغرس أطرافها العديدة في أجسادهم.. إنها تتلذذ

بتعذيبهم وإيذائهم.. إنها تعلم أني أتلصص عليها، وتعلم بأني أخبركم بالهول القائم، وهي حريصة على أن أرى ما يحدث للأطفال من تنكيل وتعذيب ليتمزق قلبي، توقفوا عن النقاش وأنقذوا من تبقى منهم.

فتح موسى تابلوه السيارة ليكشف بداخله عن جراب جلدي أسود رابض بأعماقه، رمقه للحظة بتردد، ثم فضه وأخرج ما بداخله.. ليظهر في يده مسدس قصير الماسورة، قبض عليه بكل عزم وقوة، وهو يوجه حديثه إلى رأفت الذي شاركته زينب نظرة الرعب ذاتها، وهي تتأمل السلاح القاتل المشهور في وجوههم، وهو يقول في حنق:

- هيا يا رأفت لا تتجمد هكذا كالبُلهاء، ألم ترى مسدس من قبل.. إنه مرخص.. هلم لننجز هذه المهمة اللعينة، لعلنا نستطع إنقاذ هؤلاء الأطفال الأبرياء.

قالها ثم استدار إلى زينب والسيدة روحية، وقال في عصبية:

- وأنتما أغلقا عليكما أبواب ونوافذ السيارة، ولتجلسي أنت يا زينت خلف المقود، ولتتركي الموتور دائرًا، ولتكوني على أهبة الاستعداد للفرار بنا إذا ما تعقدت الأمور، أنا أعلم جيدا أنك تجيدين القيادة، لا أريد أي مبادرات فردية حمقاء، كل منا عليه أن يلتزم بالجزء الخاص به من الخطة.

لم يعترض أي منهم على دور القائد الذي يلعبه موسى هذه المرة، فشيء ما في أعماقهم، كان يخبرهم أن على أحدهم أن يمتلك زمام المبادرة، ويمتلك بعض الشجاعة ليتحرك لنجدة هؤلاء الأبرياء من قبضة هذا الشر الغاشم، الذي بدأ في الفتك بهم.

كما أنه لم تكن هناك بالفعل خطة أفضل من الخطة التي أقترحها موسى، برغم أنها تعتمد في جملتها على العشوائية والمجازفة..

موسى نفسه برغم مبادرته كان متوترا لأقصى مدى، وكان يفكر في كنه الشيء الذي دفعه ليتناول مسدسه المرخص من تابلوه السيارة، وهو يعلم أن مواجهة مثل هذه الأشياء الخارقة للطبيعة، لا تتم بسلاح مماثل..

ربما هي غريزة، أو شفافية، من كثرة ما طرق أبواب هذه العوالم الغامضة، ومشى في طريق الخطر، وربما هو فقط يزيد من احتمالات نجاته وقدرته على المقاومة، كما يردد رأفت دائما، أو لأنه يمنحه بعض الشجاعة التي بدأت تتسرب منه.

في النهاية هو ملزم حتما بمواجهة هذه الروح القاتلة. ولن تكون أول روح غاشمة يواجهها، عليه فقط أن يتخذ الخطوة

الأولى، وبعدها ستدور الدائرة.

إن ما يقلقه فقط، هو حالة السيدة روحية المتدهورة، وجملتها التي لم ينتبه لها أي من رفاقه:

(ما هذا الهول الذي أراه، إن هذه الروح البغيضة لا تشبه ما سبق أن رأيته من أرواح من قبل، إنها مختلفة بشكل مرعب.. إنها شيء شرير.. مظلم بشكل لا يمكن تخيله..).

ترى ماذا كانت تعني بعبارتها هذه؟ هل تقصد شيئا محددا أم أنها مضطربة من هول ما تمر به؟

وهي في النهاية سيدة عجوز رفع عنها القلم، والوقت غير مناسب أبدًا للخوض في هذا النقاش، ولكنه سيعود له لا محالة، فربما له أهميه لا يدركها في هذا الوقت العصيب..

كما أن البيت، والمكان المحيط به مقبضان ومظلمان بشكل غير طبيعي، وكأن هناك شر غامض يسيطر عليهما، ربما شر أعظم من تلك الروح التي يطاردونها الآن.

إنه يرغب في انهاء الأمر، ومغادرة هذا المكان بسرعة، لينتهي هذا الضغط العصبي المريع، الذي يسببه معرفته بأن هناك أطفال يموتون الآن بسببهم.

بعد جملته الأخيرة الحانقة، هبط رأفت من السيارة، يجر

خلفه جسده البدين، وهو ينظر للمكان الصامت المظلم في رهبة، جعلت قشعريرة باردة تجتاح عموده الفقري، ليردد موسى دون وعي:

- أي شر يسكن هذا المكان الكئيب؟!

لقد شعر على الفور بتلك الطاقة المظلمة التي تحيط بالمكان، طاقة لا تحتاج لقدرات خاصة للإحساس بها، طاقة لها كيان ورائحة، وكأن البيت المظلم، قبر عملاق يفوح بالموت والمرض..

وهذا جعل رأفت يقول في قلق، وهو يتتبع خطوات موسى، وسط الطين والوحل والأرض الزلقة:

- أتشعر بما أشعر به يا موسى، إن هذا المكان مخيف بحق، ويشع بطاقة سلبية هائلة، أشعر بقلبي يكاد يقفز من صدري من التوتر، ولو صدقت رؤى السيدة روحية، رغم تعارضها مع كل المؤشرات حولنا، فالاحتمالات غير مشجعة إطلاقا، إننا نطارد روحا دموية قاتلة، لديها شغف بلحوم البشر، والحيوانات الضارية، ولا نعرف كيف نواجهها أو نوقف شرها المستطير، و...

استدار موسى في حدة ليتناثر الماء العكر ليغرق سرواله، وهو يواجه رأفت قائلا في غضب وصرامة:

- الموقف لا يتحمل حماقاتك ولا احتمالاتك يا رأفت، المكان نفسه مفزع بشكل غير محتمل، فلا تزيد من توتري، كي لا أفرغ غضبي، ومسدسي في رأسك الفارغ هذا.

تجمد رأفت في مكانه من الصدمة، وهو يحاول في الظلام أن يعرف إن كان حديث موسى جاد أم مجرد تهديد أجوف كعادته، ولكن نظراته المصممة جعلته يشهق في ذعر، وهو يتراجع إلى الخلف بخطوات حذرة، ويقول في توتر ورعب:

- لماذا تنظر إلي هكذا يا موسى إنني رأفت صديقك، لست أنا العدو هنا، العدو يقبع هناك بداخل ذلك البيت المشؤوم؟.

طالت نظرات موسى المتوعدة له، وبدت عيناه على ضوء فلاش الهاتف الذي يحمله رأفت، زجاجيتان، شاردتان، سابحتان في عالم بعيد، وهو يرفع مسدسه نحو رأفت بطول يده، ويقول في برود:

- أعتقد أنه قد حان الوقت لتنتهي كل سخافاتك التي صدعت رؤوسنا بها، لا أعتقد أن هناك قانون رياضي واحد، قادر على جعلك تستنتج ما أزمع القيام فعله بك الآن..

قالها ثم عاد لشروده، فصرخ رأفت في خوف، وقد غرق وجهه في العرق رغم برودة الجو، وهو ينظر للسلاح القاتل المشهر في وجهه، وقد أيقن أن من يهدده ليس موسى الذي

يعرفه.. ليس هو على الاطلاق!!

فانتفض جسده في قوة، وصرخ في هلع:

- توقف عن هذا المزاح الأحمق يا موسى، لا يجب العبث بمثل هذه الأشياء، السلاح قد ينطلق في أي لحظة.

غزت ابتسامة مخيفة وجه موسى، وهو يقول في برود:

- السلاح سينطلق الليلة لا محالة، وأنت أول من سيتلقى رصاصاته.

تجمد رأفت في مكانه من الرعب، بينما كانت سبابة موسى تتحرك فوق الزناد بالفعل، وكأنه على وشك تنفيذ تهديده بالفعل، لدرجة أن رأفت بدأ يردد الشهادتين، وهو يرى شريط حياتها يمضي أمام عينيه بسرعة، عندما..

- تيت.. تيييت.. تتتتتيييييييييت.

دوى صوت نفير السيارة بشكل مفاجئ ومتواصل، لينتفض موسى في مكانه وتظهر على وجهه ملامح الصدمة، وكأنما عاد من غيبوبة أو نوم طويل، وهو ينظر نحو السيارة التي لم تتوقف عن إطلاق نفيرها المزعج بغير فهم، ثم إلى مسدسه المشهر في وجه رأفت وإصبعه المستعد لضغط الزناد، ليهز رأسه في ذهول ويقول في استنكار:

- يا إلهي .. ماذا يحدث هنا؟.

وأخيرًا جمع رأفت شتات نفسه بسرعة، ثم صرخ في وجه موسى الذي عاد لوعيه، وقد حمل صوته كل توتر اللحظات السابقة قائلا:

- لقد كدت تطلق النار علي أيها الأحمق، لقد كدت تقتلني.. هل جننت أم فقدت عقلك، أم أصابك مس يا موسى؟!

واصل موسى نظرته المندهشة، ثم قال في توتر:

- أنا لا أذكر أي شيء مما تتفوه به، ما الذي دفعني لتوجيه مسدسي نحوك، أهي تلك الروح البغيضة، أم شيء أخر، إننا حتى لم ندخل البيت بعد؟

هم رأفت أن يشتبك معه في الحديث مجددا عندما عاد نفير السيارة ليعلو، فنظرا في دهشة صوب السيارة!!

ليشاهدا زينب وهي تخرج نصفها العلوي من النافذة الجانبية، وتشير بيدها في ذعر باتجاه البيت..

وعندما استدارا الاثنان شاهدا ما كانت تشير إليه..

واتسعت عيونهم في رعب..

وهتف رأفت في هلع :

- يا إلهي.

في حين صرخ موسى قائلا في ذهول:

- اللعنة .. أي شيطان هذا.. ومن أي جحيم خرج؟.

وفجأة انفجر ضوء أبيض ساطع..

أحال البيت المظلم وما حوله إلى نهار..

وكان من الواضح أن هذه الليلة السوداء لن تنتهي على خير ..

أبدًا.

الرماد

المشهد كان رهيبًا بحق..

فالبيت المظلم خلفهم شع بضوء وهاج أعمى أعينهم المندهشة غير المصدقة، فبدا وكأن بأعماقه شمس بيضاء ساطعة، أحالت المكان من حوله إلى نهار لا مثيل له، مبددة سحب الظلام الدامس التي غلفت كل شيء، ومعها كل شعور راودهم بالأمان أو الدفء، مع تزايد حدة الرياح الباردة، التي ثارت ثائرتها، وكأنما أغضبها ما يحدث في البيت المشؤوم فقررت معاقبة الجميع..

تجاوزا الصدمة بصعوبة، ومع خفوت الضوء قليلا، تعلقت أبصارهم بنافذة الطابق الثالث، التي برز من نصفها العلوي المسخ الهلامي الرهيب، معلقا في الهواء خلف الزجاج المهشم، الذي لم ينجح في إخفاء هيئته المفزعة، ويرمقهم بعينين تشتعلان بالنيران، في تركيز واصرار.

والشيء الأكثر إفزاعا، هو ذلك القلب الأحمر النابض، الذي كان يشع بضوء خافت وكأنه مصنوع من عقيق مشع، وإن ظهرت كامل أوردته، وشرايينه، موزعة في منتصف تلك المساحة التي يوجد بها الصدر في هيئته شبه البشرية الغريبة، فبدا لهم كشيطان رجيم خارج من قلب الظلام،

ليحيل حياتهم إلى جحيم.

لم يستطع أي منهم استيعاب ما رآه، فلم تكن هذه الروح المفجعة تشبه بالفعل أي روح واجهتهم من قبل، كما قالت السيدة روحية منذ قليل..

بل بدت أقرب لمسخ بشري، منه لروح حقيقية.

لبرهة من الزمن رمقها موسى في هلع، وهو يفكر في توتر، أنه لم توجد من قبل أي روح تحدتهم بهذا الشكل المفزع، وتلك الطريقة الوقحة، وكأنها كانت تريد أن تبلغهم رسالة موجزة :

أنهم هالكون!

في الوقت نفسه كان رأفت في أسوأ حال ممكن، وقد غرق وجهه بالعرق، وأخذ جسده البدين يرتجف في قوة، برغم الرياح الباردة التي كانت تعصف بهم وبالمكان، وقد مزق سلامه النفسي ظهور تلك الروح القاتلة، بهذا الشكل المسرحي المفزع..

حدثته نفسه بأن يهرب ويغادر المكان في أسرع وقت، بعد أن صار كل شيء فيه، يمثل له تهديدا مباشرا، وخطرا مؤكدا على حياته..

فموسى الذي كان يعتبره خط الدفاع الأول ضد كل الأخطار التي قد تواجههم، ببنيته القوية، وعزمه الذي لا يلين، يقف أمامه الآن بمسدسه البارد المستعد لإزهاق روحه هو شخصيا..

والروح القاتلة بهيئتها البشعة، وبكل دمويتها وإصرارها، منتصبة خلفه تتوعدهم جميعا بالويل والثبور.

والمكان نفسه يشع بطاقة مخيفة، وكل شيء فيه يوحي بوقوعه تحت سيطرة شيطانية متزايدة، لا قبل لهم بها، كان أول ضحاياها موسى نفسه، وكان هو سيكون أول قتلاها.

إنه بعد ما حدث، لن يأمن وجود موسى بالجوار، خاصة وقد بدأ عقله يلم بحقيقة تلك الأجزاء المفقودة من أجساد الضحايا، التي كانت تسرقها تلك الروح الملعونة، ومصيرها النهائي.

ولم يرغب بأي حال من الأحوال، وتحت أي احتمال مهما كان ضئيلا، في أن يصير أي جزء من أجزاء جسده- بعد تمزقه- جزءا من هيئة تلك الروح الدموية الرهيبة، التي مازالت مستمرة في قذفهم بنظراتها النارية الجشعة من خلف النافذة المهشمة.

هم بالتراجع وهو يراجع في عقله كافة المعلومات

والاحتمالات، بعد أن صار كلا منهم خطر على الأخر، ومصدر تهديد لا يمكن تجاهله، مع الأخذ في الاعتبار أنه هو الجزء الأضعف في المعادلة هنا.. والذي قد يتم محوه منها ببساطة..

فحتى لو سيطرت الروح على عقله كما فعلت مع موسى منذ اللحظة الأولى، وأصبح هو الجاني لا المجني عليه، ففي كل الأحوال سيصير هو الضحية.. نعم هو الضحية!

فأي مواجهة له مع موسى محسومة مقدما!.

ولو فكر مجرد التفكير في تهديد حياة موسى بعضلاته المفتولة هذه، لمزقه إربا في لحظات، وحوله لكومة من اللحم والعظام المشوهة.

كما أن فكرة التضحية بحياته في هذه اللحظة المظلمة لا تستهويه نهائيا، فلا يعرف فائدة أن يضحوا بأنفسهم من أجل بعض الصبية الأيتام الذين لا يعلمون أي شيء عنهم، لقد اتخذ قراره بالفعل، حياته أهم بكثير من ظهوره بمظهر الرعديد الجبان.

إنه سيهرب، فهو لن يدفع ثمن نذالة آبائهم، ولا فورة شجاعة حمقاء تورده مورد التهلكة..

إنه قدرهم، وعليه ألا يتدخل ليغير هذا القدر..

وربما هم يستحقون هذا العقاب، أو أن العقاب نفسه مجرد طوق نجاة لهم، كما حدث مع الطفل العاق في قصة الخضر.

وقبل أن يشرع في العودة الفعلية بشكل حاسم، أظلم المكان من حولهم، وتلاشى الضوء الساطع، ولم يعد يرى تلك الروح في أي مكان، فانتفض جسده في قوة، وأخذ يتلفت حوله في هلع، وكاد قلبه أن يتوقف، عندما اقترب منه موسى دون أن يشعر به، وقبض على ذراعه في قوة، بعد أن أعمى عينيه بضوء مصباحه اليدوي.

ولعدة ثوان تجمد في مكانه، وهو ينظر لهيئة موسى المخيفة على ضوء المصباح اليدوي، ثم تنفس في قوة، وهو يتأمل وجهه في رهبة، متوقعا أن يرى نظراته المخيفة التي تحمل له الموت..

ولكن كل هذا لم يحدث، فقد عادت مياه الحياة لعينيه، واختفت منها النظرة الشاردة المتوعدة، وعاد موسى لطبيعته، فحاول أن يفلت من قبضته ليشرع في الهرب، ولكنها كانت ككلابة من الصلب، لم تترك له مجال ليتزحزح من مكانه قيد أنملة، فلموسى قوة الثيران بالفعل.

وقبل أن يقوم بأي رد فعل عنيف أخر، تأبط موسى ذراعه، محاولا سحبه معه باتجاه البيت المظلم، وهو يقول في توتر:

- إنها المرة الأولى يا رأفت التي يتملكني فيها مثل هذا الشعور الرهيب، فأنا يهزني من أعماقي خوف جارف مبهم، من كل شيء ينتظرنا بداخل هذا البيت المشؤوم، وهي أيضا المرة الأولى التي أعترف فيها بشيء مماثل في حياتي، وبرغم هذا أحاول عدم الإنصات لذلك الشعور المخزي، فأنا لست مراهقا أحمقا أو جبانا، أو من يحنث بوعده، أو بعهد قطعه، لقد أقسمنا جميعا ألا نتوقف عن السعي والتضحية، إلا عندما تتوقف كل تلك الأحداث الدامية، ونحن لم نبدأ لنتوقف بعد.

تجمد رأفت في مكانه من الرعب، ونظر نحو موسى في رهبة ثم إلى البيت الذي كساه الظلام والصمت، وقد شعر أن قلبه يكاد ينهار من الهلع، وكأنما سيقوده موسى إلى حتفه.. بينما حاول موسى أن يداري توتره في الحديث فهتف في رأفت قائلا:

- لا تتجمد هكذا كالحمقى يا رأفت، فالشجاعة ليست ألا تخاف ولكن أن تهزم مخاوفك وتتجاوزها.. وكما ترى.. البيت عاد لظلامه، ولابد أن الروح نفسها قد انتهت من عملها الدموي، وكل ما سنفعله هو أن نحصل على طرف خيط جديد، وبعدها نعد أنفسنا لمواجهة متكافئة.

كان رأفت يرغب في أن يخبره بأنه خائف منه هو أكثر من

الروح القاتلة ذاتها، كان يرغب في أن يصرخ في وجهه معلنا تخليه عن كل شيء، ولتمزق تلك الروح الملعونة من تشاء وقتما تشاء..

ولكن حديث موسى كان يحمل بعض المنطقية، ولذلك فإنه أغلق فمه وعقله تماما، وتجاهل مخاوفه المتصاعدة، ثم ربت على كتف موسى ليحرر ذراعه من قبضته القوية، وصوب فلاش هاتفه المحمول أمامه، وهو يقول في توتر وضيق:

- أتمنى أن تكون افتراضاتك صحيحة يا موسى، لأن في حالتنا هذه قوانين الاحتمالات تخبرنا بثبات تام أننا في طريقنا صوب فخ محكم، وأن تلك الروح ذات الهيئة المفزعة، لابد وأنها تكمن لنا في مكان ما من هذا البيت الملعون وأنها لن تكتفي بقتلنا فقط، بل ستمزقنا إربا، وتلتهم أعضائنا.

أشاح موسى بيده، وهو يقول في تبرم:

- لما لا تخبرني بكل بساطة أنك خائف كما أخبرتك، وأن الأمر قد يكون مجرد فخ، لماذا كل هذا العبث في الحديث، ومحاولة إثارة الهلع في قلوبنا، عليك أن تتعلم الإيجاز في حديثك، فالأمر قد فاق الحد بالفعل.

زم رأفت على شفتيه، وقال بضيق واضح:

- هذا ما أخبرتك به بالفعل، ولنركز الآن على تلك الكارثة التي أمامنا، لا على طريقة كل منا في طرح وجهة نظره.

قالها ثم صمت لبرهة من الزمن، وقد تملكته فكرة شديدة الأهمية، فعاد يكمل في توتر موجها حديثه إلى موسى:

- ولكن قبل أي شيء، فلتمنحني، ذلك المسدس الذي تحمله، فلن تكون الأقوى، ومن يحمل السلاح أيضا.. عليك أن تمنحني بعض المميزات في مواجهة تلك المخاطر التي سنواجهها معا.. فلن أكون الأضعف في المعادلة، والأعزل أيضا من السلاح.

رمقه موسى بغير فهم للحظات، ثم مد يده القابضة على السلاح، وأداره بشكل احترافي ليواجه مقبضه رأفت، الذي اختطفه منه بسرعة غير مصدق أنه يمنحه سلاحه بهذه البساطة، وهو الذي يتملقه من أجل أن يخفض من احتمالية المخاطر التي سيواجهها بسببه، على الرغم من علمه بأن موسى قادر على أن يهشم عنقه في لحظة واحدة بقبضته العارية، ولكنها كانت محاولة بائسة ليأمن غدره، لو سيطرت الروح على إرادته مجددا..

شعر رأفت ببعض الراحة لحصوله على المسدس، وبكثير من التوتر من ملمسه البارد، ومن اقترابه من البيت المظلم، الذي تتواجد بداخله تلك الروح القاتلة، والذي كانت بوابته

مفتوحة كفم شيطان له قلب مظلم، وكأنها تنتظرهم هم بالذات لتلتهمهم.

عبرا البوابة في عصبية، والمصباح اليدوي، وفلاش الهاتف يكافحان الظلام الدامس..

والعجيب، أنه برغم الظلام المحيط بالبيت إلا أنهما شعرا عند عبورهما بوابته، أن هناك نوع أخر من الظلام..

ظلام موحش.. ثقيل، له ملمس ورائحة ..

كما أن رائحة الموت المالحة الصدئة كانت تعبق أجواء المكان، وكأنهما يدخلان لأعماق قبر عتيق تشبع بالموت، لا منزل قديم مهجور.

حث موسى رأفت على التروي، وهو يقول:

- لن نصعد لأي طابق، قبل أن نفحص الطابق الذي يسبقه، لن نترك ظهرنا مكشوفا لتأتي الطعنة دون أن نشعر بها.. لقد تعلمت هذا من أبطال أحد الأفلام السخيفة التي كانوا يمزقون فيها بعضهم البعض إربا دون أن تفهم السبب.. لقد كان فيلما إيطاليا وغير مترجما.. ربما لذلك لم أفهم.

قبض رأفت على ذراعه في قوة، وهم يقتربون من باب الطابق الأرضي، وهو يقول في توتر:

- وهل نفع الحذر أبطال هذا الفيلم الإيطالي السخيف؟.

دفع موسى الباب بخشونة، ليصدر صريرا مزعجا، ثم أشار لرأفت ليدخل أولا، وهو يقول في بساطة مزعجة:

- بالطبع أفادهم الحذر، فقد ماتوا أخر مجموعة في الفيلم، هلم تقدمني فأنت من تملك السلاح.

كان من الواضح أن حديثهم التافه السابق، مجرد محاولة فاشلة لإلهاء أنفسهم عن مخاوفهم الداخلية، التي عادت لتتضخم، ولتتصدر أذهانهم، بعد أن دلفوا إلى الشقة الأولى.

منظر رأفت كان مثيرا للسخرية والشفقة، خاصة وهو يحمل السلاح في يده محاولا تقليد المحترفين، وخلفه يدخل موسى الذي كان الظلام يخفي خوفه واضطرابه هو الأخر..

الشقة كانت مظلمة، وصدمتهم رائحتها المكتومة، وظلامها العجيب الثقيل، وتلك الطاقة السلبية العنيفة التي تحيط بها..

كما أنها كانت مصدر احباط كبير لهما، فمن الواضح أن هناك حريق هائل قديم التهم كافة محتوياتها، وكسا جدرانها وأرضيتها بالسناج، كما تناثر رماد أسود غريب في كل ركن من أركانها..

ومن رائحة العطن، أدركا أن الرطوبة تتسرب عبر الحوائط، ومن خيوط العنكبوت الحديثة، تأكدا أن الحريق كان منذ فترة طويلة..

الصالة خالية إلا من بقايا منضدة وبعض المقاعد المحترقة، والمزيد من الرماد الغريب..

الغرفة اليسرى بها بقايا فراش قديم، وصوان بلا أبواب نجيا بمعجزة من النيران، وإن تناثر حوله الرماد الأسود أيضا بشكل مريب هذه المرة، فلا تبدو أن النيران قد اقتربت من هذا المكان، فمن أين أتى إذا الرماد؟

بينما عثرا في الغرفة اليمنى التي تقبع بجوار الحمام الرئيسي، على دمية بلاستكية نظيفة، ذات هيئة مخيفة، وضعت فوق كومة من الرماد، وكأنها دمية طفل قزم مشوه عاجز عن الحركة، فاقدة لبعض أطرافها.

وكان من الواضح أنها وضعت في هذا المكان مؤخرا بفعل فاعل، وأنها لا تنتمي إلى المكان المحترق بأي حال من الأحوال..

منظر الدمية مثير للهلع بالفعل.

وعلى ضوء المصباح اليدوي، والهاتف، اقترب منها موسى،

وتبعه رأفت، وعلى الفور تباينت ردود فعلهما تجاهها.

رأفت رآها مجرد دمية بلاستيكية، تشبه الدمى الموجودة في العديد من المحلات الشعبية التي تبيع المنتجات الصينية الرديئة الصنع، ولا تسريب عليها، وقرر تجاهلها، وتجاهل هيئتها المريعة، وبدأ يتحرك ليفحص غرفة أخرى من غرف الشقة، لعله يعثر على أحد الأطفال، وقد حالفه الحظ لينجو من المذبحة المتوقعة، أو طرف خيط ينهي مغامرتهم مبكرا، دون الحاجة لاستكمالها.

بينما تعلقت عينا موسى، بالدمية الساكنة، وظهر على وجهه الاضطراب الشديد، وكأنه يعاني من ضيق في التنفس، وعلى ملامحه ارتسم خوف لانهائي..

وفي أعماقه آمن أنها ليست ليلة حظه، بل ليلة انهياره..

ففي البداية ألم به ذعر شديد لم يستطع إخفائه تجاه البيت، ثم كاد يطلق النار على صديقه رأفت، وها هو هلع من نوع جديد يظهر على سطح روحه..

خوف قديم كان يعتقد أنه تغلب عليه، بعد أن صار كدبابة بشرية لا يقدر عليها أحد، ولا يمكن أن يناطحها أحد ..

إنه مصاب بفوبيا الدمى.. أو رهاب الدمى، وهو نوع من الأمراض النفسية الغريبة؛ حيث تسبب رؤية الدمى أو

التفكير فيها قلقًا شديدًا، لدرجة أن المصاب به يصرخ أو يصاب بانهيار عصبي أو يتجمد من الخوف..

وهو أكثر شيوعا لدى النساء والأطفال، لا لشخص عنيف ومندفع مثل موسى الذي أخذ يتراجع للخلف، وهو يقول في شرود وهلع:

- لا أحد يحطم دمية ليست دميته.. لا أحد يحطم دمية ليست دميته .

كان يتراجع في رعب تام، وعيناه معلقتان بالدمية الفاقدة أطرافها، عندما ازدادت الأمور سوءا، وتحركت أمام عينيه الدمية، وجلست في بطء، ثم أدارت رأسها المخيف لتواجهه..

صرخ في هلع، وهو يلتصق بالحائط، ويلوح بيديه:

- الرحمة .. الرحمة.

وبعينيه الهلعتين، رأى يد الدمية تتحرك، وهي تشير بعلامة الذبح، ثم سمع الصوت المتحشرج الكئيب الخارج منها، يقول في صرامة:

- الدمى لا تنسى ثأرها، لا تنساه أبدًا.

وبكل ما يعتمل في روحه من رعب، صرخ:

- الرحمة أيتها الدمية.. أنا لم أقصد أن أحطم (كيتي)، ولقد سامحتني شقيقتي، وعاقبني أبي، وأقسم لك أن أعوضها عنها بعشر دمى كاملة.. بل بعشرين، ولكن اتركيني أذهب .. اتركيني .

كان العرق يغمر وجهه، وهو يلتصق بالجدار أكثر وأكثر، عندما اندفع رأفت لاهثا إلى داخل الغرفة على صوت صراخه، وهو يشهر سلاحه المستعد للانطلاق أمامه، وقام بفحص المكان بسرعة، ثم عاد إلى موسى الذي كان يبكي في رعب، وهو ينظر إلى الدمية الجالسة في هلع..

حاول أن يجعل موسى يستفيق من حالة الهلع والهستيريا المسيطرة عليه دون جدوى.. حاول أن يفهم منه ماذا يقول، فلم يفهم إلا كلمة الدمية، ولم يستطع أن يجد أي رابط بينهما..

وفي النهاية لم يجد إلا الحل التلفزيوني الشهير، فقام بصفع موسى بكل قوته على وجهه، وهو يتوقع أن ينقض عليه ليكسر عظامه، ولكن لحسن حظه لم تسر الأمور كما توقع.

فعلى الرغم من أن الصفعة لم تكن بالعنف الكافي، الذي على أثره يمكن أن ينهار موسى، ولكنه إنهار بالفعل، وسقط أرضا بجسده الضخم، ككيس مملوء بالهواء، وقبل أن يفقد

وعيه، أشار بإصبعه نحو الدمية، وفي عينيه كل هلع الدنيا، وهو يصيح:

- إنها ستقتلني .. ستقتلني.

وكرد فعل لا إرادي، نظر رأفت صوب المكان الذي رأى فيه الدمية قبل مغادرته الصالة، وهو يصوب نحوها مسدسه القاتل، ثم ارتجف جسده بقوة..

فلم تكن هناك أي دمى في المكان!!

أم أنها كانت هناك، ثم غافلتهم وتحركت!!

فهل يمكن أن تتحرك الدمى من تلقاء نفسها، وكأن لها حياة خاصة؟

وهل كانت هناك دمية من الأساس، وهل شاهدها بنفسه، أم هو واهم؟

هل بدأت الروح القاتلة سيطرتها على عقله كما فعلت مع موسى من قبل، أم أن هناك من يتربص بهم في الشقة ولا يرونه؟

ثم سطعت الفكرة في رأسه!

فهتف بصوت مكتوم:

- لابد من مغادرة هذا المكان اللعين على الفور.. لابد.

بيت الدرديري

لا يمكن لأحد أن يتخيل مقدار الرعب الذي أصاب رأفت في هذه اللحظة، بعد أن اختفت الدمية من مكانها دون أن يظهر لها أي أثر، وهو يتحرك نحو موسى كفأر مذعور، متوتر، ويهزه بيده التي تحمل الهاتف المضيء، ويقول في هلع:

- إن البيت مسكون.. الروح قادتنا إلى بيت مسكون يا موسى.

كان يمسح المكان بسرعة معتمدا على ضوء الكشاف الساقط على الأرض، وضوء هاتفه المهتز في يده، متوقعا في أي لحظة هجوم الدمية، لقد شاهد كل أجزاء فيلم (تشاكي) المرعبة، التي تكون فيها الدمى قاتلة وشبه حية، وهو يتوقع في أي لحظة هجوم هذه الدمية القزمة..

موسى لا يستجيب بسهولة، ولكنه يواصل هزه، وهو يصرخ في ذعر:

- استيقظ من غيبوبتك السخيفة هذه يا موسى، ودعنا نغادر هذا البيت الملعون.. كل الاحتمالات ترجح هلاكنا، استيقظ أيها الأحمق.

وهنا هب موسى من مكانه، ونظر حوله كطفل مذعور وقال في روع:

- الدمية.. الدمية ستقتلني.

عاونه رأفت على النهوض وقال:

- لا توجد دمى في هذا المكان، إنها كلها أوهام، دعنا نغادر هذا المكان، قبل أن يفسد عقولنا.

سحب موسى ذراعه من يد رأفت، وأخذ يمسح المكان ببصره، وبدا على وجهه ملامح صراع عنيف، قبل أن يحسمه قائلا:

-اللعنة، إن هذه الروح الكريهة تعبث بعقلي، وكأنني طفل ساذج، لابد أن أقاومها أكثر و....

قطع حديثه كأنه ينصت لشيء خفي، ثم هتف في هلع:

- الأطفال الأيتام.. لقد نسيناهم.. تبًا لقد أضعنا وقتا ثمينا بالفعل.

بعدها تناول المصباح اليدوي من فوق الأرض، وسحب رأفت من يديه كأنه يسحب طفل صغير، وأخذ يتحرك بسرعة، كعداء في أحد سباقات الموت، وكأنه لم يكن منهارا منذ لحظات، ولم يستجب لمحاولات رأفت لدفعه بعيدا عن تطبيق فكرته بالصعود إلى الطابق الأول..

ولكن موسى استغل عضلاته ولهفته، ليجد رأت نفسه أمام

باب شقة الطابق الأول المظلم..

ولا يختلف الطابق الأول عن الطابق الأرضي في شيء، نفس تقسيمة الغرف، نفس خيوط العنكبوت، نفس الغبار الذي يغلف كل شيء، الرماد المريب المتراكم في كل مكان..

والفرق الوحيد أنه خال ولا توجد به دمى، أو أثار حريق، فقط بعض قطع الأثاث القديمة، التي لم تعد تصلح لأي شيء..

رائحة الموت تعبق كل مكان، مع رائحة تعفن الأثاث القديم، والهواء المكتوم الخانق...

إنه مكان غير صالح أبدا لمرضى الربو أو أصحاب العلات التنفسية، أو العقلاء.

حاول رأفت إثناء موسى عن المضي قدما، متعللا بأن سيطرة الروح عليه مطلقة. على الأقل ليخرج من المكان ويستدعي زينب مكانه، أو يغادران سويا المكان بلا رجعة؛ لأنهم مع ضعفهم هذا فهم يلقون بأيديهم إلى التهلكة بدون فائدة تذكر، فهذه الروح من الواضح أنها قادرة على الاستحواذ والتحكم في عقول البشر والحيوانات على السواء..

كاد موسى أن يقتنع بحديث رأفت بعد أن أثار من جديد

مخاوفه، لولا أنه سمع الأنين..

أنين شخص يجاهد ليتنفس..

بل شخص يحتضر، ويطلب المساعدة في ألم..

وعندما ركز أكثر، تأكد أنه أنين طفل كان من المقرر أن يقوموا بإنقاذه، ولكن مخاوفهم وقفت حائلا أمامهم، وأضاعت الكثير من الوقت..

وفي سخط قال موسى:

- اللعنة إنني خائف بالفعل، هناك شيء مشؤوم يعبث بوعينا، إننا نكاد ننهار ولم نواجه تلك الروح الشريرة بعد، وأنت توشك على الفرار كحمل مذعور يطارده ذئب، لابد أن نتسلح ببعض الشجاعة يا رأفت، ونبدأ في إنقاذ الأطفال التي تئن، والذين يحتضرون ويقفون على حافة الموت، علينا أن نتحرك بسرعة، فربما لم يفت الأوان بعد.

وقبل أن يشرع في تفتيش الغرف المغلقة، وقبل أن يخطو خطوة واحده، جذبه رأفت من ذراعه ليوقفه هاتفا:

- لأين ستذهب أيها الأحمق، وأي أنين، وأي أطفال يحتضرون ستنقذهم، من أي بئر للحماقة انتشلت هذه الأفكار.. توقف.. إنك وقعت تحت سيطرة الروح مجددا.

تجمد موسى في مكانه، وقال بعناد:

-لابد وأنك أصم، كي لا تسمع هذا الأنين الذي يمزق نياط القلوب.

قبض رأفت على ذراعه بقوة، وهو يقول بعناد أشد:

- إنك واهم أيها الأحمق لا يوجد شيء، حاول أن تقاوم سيطرة تلك الروح القذرة على عقلك، ودعنا نغادر هذا المكان الملعون، و...

وقبل أن يتم عبارته، دفعه موسى بكامل قوته ليتحرر من قبضته، واندفع داخل الشقة المظلمة يفتشها غرفها كالمجنون، وبعد برهة انطلق خارجها ليمر من جوار رأفت كالصاروخ، صاعدا إلى الطابق الأخير قبل أن يتمكن من منعه، في حين وقف رأفت عاجزا عن الحركة لنصف دقيقة، قبل أن يقرر اللحاق به، فلن يستطع تحمل ذنب تركه لأوهامه تهلكه..

وما أن ووصل إلى خارج باب الشقة المظلمة على ضوء فلاش هاتفه، حتى توقف وهو يشهق في قوة، فأمامه كان يقف كلب عملاق، له نصف فراء أسود، ونصف هلامي أزرق، وعينان وحشيتان جشعتان متألقان بضوء وهاج، وأنياب حادة تلتهم نصف وجهه، ويزمجر في قوة، وقد ظهر

التصميم على ملامحه المخيفة.

شهق وعقله يحترق من كثرة ما تفجرت فيه من أفكار، فها هو الحيوان المفترس الذي تم إيعاز كل الجرائم الافتراس إليه، يقف على بعد عدة أمتار منه.

لقد صدق تقرير الطب الشرعي بالفعل، هناك حيوان مفترس يهاجم الضحايا، وأنيابه حادة وشديدة الانتظام لأنها من هلام وطاقة صافية..

والمفزع أنه هنا من أجله..

لقد انتظر حتى تركه موسى، وظهر له.

الكلب القاتل يقترب منه في ثقة، و سيفتك به في أي لحظة...

ولذلك عليه أن يقاوم...!!

عيناه معلقتان بعينا الكلب الذي كانت مخالبه المتألقة تحتك بالأرض الصلبة وتجرحها في عنف، وهو يلعن بدانته، وأنفاسه اللاهثة، وبكل ما سكن خلاياه من رغبة في الحياة، وبكامل سرعته، التي لا تقارن بسرعة الكلب العملاق، الذي كان يتوهج جسده في الظلام، رفع ذراعه التي تحمل المسدس المعد للانطلاق أمامه..

وفي نفس اللحظة التي هجم فيها الكلب الشرس، دوى صوت رصاصة تردد صداها في المكان..

ثم ثلاث رصاصات متتابعة..

بعدها تردد صوت خوار رهيب، ثم صوت ارتطام مكتوم، قبل أن تنطلق صرخة بشرية رهيبة، تردد صداها في المكان، وفي عقل السيدة روحية التي كانت تجلس في السيارة، وهي تتابع ما يحدث بعقلها، وكأنها تشاهد بث مباشر شديد الوضوح، لما يحدث بداخل البيت المشؤوم، فانتفض جسدها بعنف وهي تهتف:

- اللعنة.. إنها ستفتك بهم.

انتقلت انتفاضتها لجسد زينب التي شهقت هي الأخرى، وهي تقول في رعب هائل، وعيناها معلقتان بوجه السيدة روحية الممتقع:

- هل سمعت صوت الرصاصات، ما الذي يحدث يا خالة روحية.. أخبريني بالله عليك؟!.

قالت بصوت مضطرب باك:

- لقد هزمتهم يا بنيتي، هزمتهم.. ولن يستطع أي منا مقاومة هذه الروح الغاشمة أو السيطرة عليها، إنها ليست

وحدها.. لابد أن نهرب جميعا.. ولابد أن نخرجهم من هذا البيت المفعم بالشرور، إن ظلوا أكثر من هذا لن يعودوا إلا على القبر.

ثم شهقت وأضافت:

- ما كل هذا الشر الذي أرصده، هذه الروح تكرهنا كراهية عمياء.. تكرهنا نحن دونا عن العالم أجمع، وكأن بينا وبينها ثأر.. ثم .. ثم ...

قاطعتها زينب بسرعة قائلة:

- ثم ماذا؟.

أجاب بتوتر:

- ثم إنها لا تشبه أي روح قابلناها من قبل، إنها مختلفة بشكل لا أفهمه، وذكية بطريقة شريرة غير محتملة، وواعية بشكل كبير لكل ما تواجهه، هناك شيء غامض ومخيف يحيط بها، وبتلك الروح المجهولة التي تصحبها، والتي أعجز عن التواصل معها.

قالت زينب في هلع:

- اللعنة يا خالة روحية إنه ليس وقت البحث عن تفسيرات؛ الروح الدموية تفتك برفاقنا، كما أنني لن أقتنع الآن بوجود

روح قاتلة ثانية بصحبة الروح الأولى، إنه أمر غير مسبوق، ويقلل من فرص نجاتنا، فقط بالله عليك أخبريني، هل تستطيعين بقدراتك هذه مساعدتهم أم لا؟.

صرخت السيدة روحية في غضب:

- إنني أحاول بالفعل أيتها الحمقاء، تواصلي مع تلك الروح اللعينة يضاعف قدراتي، لكنني عاجزة بالفعل عن التواصل مع رفاقنا أو نجدتهم، لابد أن نستعين بأي مساعدة خارجية، إننا في كل الأحوال امرأتين عاجزتين، والروح هذه المرة تتعامل بحقد مكين، وقدرات بلا حدود.

وعلى ذكر المساعدة الخارجية، تذكرت زينب على الفور الرقم الذي أرسله لها حسنين ابن خالتها على الواتس أب، والذي يخص المقدم حسان، الذي يعمل في قسم الشرطة القريب، فلم تضيع ثانية واحدة، وهي تفتح قائمة المحادثات، وتبحث بداخلها عن الرقم المعني، ثم تطلبه..

نغمة الاتصال الأقرب إلى الطنين تدوي في أذنيها، ثم الصوت الأجش الخشن، الذي يمت لأصول صعيدية:

- مساء الخير يا أنسة زينب.. كيف أستطيع مساعدتك؟.

صدمها في البداية أنه يعرف أسمها، وأنه يعرض المساعدة بلهجة عملية سريعة، ولكنها أيقنت أنه ولابد وأن حسنين قد

منحه رقمها وأبلغه باسمها، وربما ما تنوي القيام به..

كم هو مسكين حسنين الذي لا يوفر جهدا ولا طاقة لمساعدتها، حتى لو كان بعيدا عنها، وكم تشعر بالضيق من نفسها، لأنها تتلاعب بمشاعره بمثل هذا الشكل، وتظلمه معها بتحميله هذا القدر من الأعباء، و...

- أخبريني يا أنسة بماذا يمكنني أن أساعدك؟!.

الصوت الأجش ذو اللكنة الصعيدية يقطع عليها أفكارها، فتعود لها ذاكرتها بسرعة رهيبة، فتقول بصوت مضطرب:

- مساء الخير يا سيدي أعتقد أنني في مصيبة، واثنان من رفاقي قد يلقون حتفهم في أي لحظة.

ظهر على صوته الاهتمام، وهو يجيب بسرعة:

- أخبريني عن مكانك بالتحديد، وهل هناك مصابين؟.

أجابت في هلع، وهي تحاول أن تتحدث بوضوح وسط نحيب السيدة روحية، التي كان من الواضح أنها أصبحت تعاني وتتعذب جراء رؤية جديدة تهاجم عقلها فجأة:

- لا أعلم هل هناك مصابين أم لا يا سيادة المقدم، ربما هناك، وربما هناك قتلى فقط، أرجوك أن ترسل من يساعدني على وجه السرعة، وسأبلغه بكل التفاصيل في حينها.

رد المقد حسان بلهجته العملية، وصوته الأجش قائلا:

- على كل حال سأطلب سيارتا اسعاف ليحضرا إلى الموقع تحسبا لأي ظروف طارئة، وسأجمع بعض رجالي وأكون عندك خلال دقائق، أين أنت بالتحديد الآن؟.

أجابت بسرعة:

- على بعد ثلاث شوارع من الملجأ، بداخل سيارة تركن بجانب الطريق.. سأشعل أضواء انتظارها لتتعرف عليها بسهولة، وسأرسل لك الموقع على الواتس أب حالا.

سمعته يأمر أحد الرجل بجمع الرجال، والاستعداد لحملة ليلية طارئة، قبل أن يقول في تلقائية:

- لا داعي لإرسال الموقع، أنا أعرف المكان جيدًا، أنت بالقرب من بيت الدرديري أليس كذلك؟!.

ردت بسرعة:

- لا أعرف حقا.

قال بلهجة متوجسة:

- إنه مبنى قديم مهجور من عدة طوابق، يقع بجوار بعض الورش الصناعية، وتدور حوله شائعات لا داعي لذكرها الآن، دقائق يستعد الرجال، ونكون عندك، و...

وهنا قاطعته زينب قائلة:

- نحن بالفعل أمام بيت الدرديري هذا، وسيارتي تقف بالقرب منه، ورفاقي الذي أخشى عليهم من الهلاك بداخله.

بدا على صوته ملامح الصدمة، وهو يقول بطريقة خشنة:

-اللعنة أنتم في بيت الدرديري نفسه، ماذا تفعلون في هذا البيت المشؤوم، أي حماقة جعلتكم تدخلونه؟.

ردت بلهجة دفاعية، قائلة:

- أنا لم أدخله أنا أو السيدة روحية، فقط موسى ورأفت هم من دخلوا، وأرجوك أن تسرع، أنا لا أعرف كيف أساعدهم!.

ساد الصمت للحظات قبل أن يقول المقدم حسان بصوت يحمل الكثير من الحنق والضيق:

- اثنان من الرجال واثنان من النساء، في مثل هذا التوقيت والمكان؟.

ردت ساخطة:

- أنا أبنة ناس ومحترمة، وجميعهم محترمين، ثم أنا ابنة خالة صديقك، فكيف تتحدث معي بمثل هذه الطريقة الوقحة؟.

لم يستسغ الرائد حسان ردها، ولكنها وجد نفسه أخطأ عندما فكر بصوت عال، وقرر أن يتجاوز الموقف قائلا:

- أهدئي يا أنسة أنا لم أقصد شيء مشين، ربما خانني التعبير، خلال دقائق سأكون عندك، وحاذري تحت أي ظرف من الظروف أن تدخلي هذا البيت المدنس.. العاقبة لن تكون جيدة، وأنا أدرك تماما ما أتحدث عنه..

نحن سننطلق من القسم الآن، ولن نتأخر، خمس دقائق فقط وسنكون أمامك، حاولي خلالها أن تظلي حية، لقد أخبرني السيد حسنين أنك متهورة، ولكنه لم يخبرني أن تهورك ممكن أن يصل إلى هذه الدرجة من الحماقة.

لم ترد على إهانته الأخيرة، لأنه بالفعل على حق، فصمت لبرهة، ثم عاد يكرر تحذيره في صرامة، وبطريقة من أعتاد أن يأمر فيطاع:

إياك ودخول هذا البيت تحت أي ظرف من الظروف يا أنسة زينب، هذا لمصلحتكم جميعا.

قالها وأغلق الهاتف، فساد صمت مطبق بداخل السيارة، وهذا جعلها، تنظر بدهشة نحو السيدة روحية التي توقف عن البكاء والنحيب دون مقدمات، لتجدها فاقدة الوعي، وخيطان من الدم يخرجان من أنفها، ويغرقان تابلوه السيارة

التي سقطت رأسها فوقه، وقد سقط شالها ليظهر نصف وجهها المشوه، وجزء رأسها المحطم في مشهد مثير للشفقة، فشهقت بسرعة، ووضعت هاتفها في جيب معطفها الشتوي القصير، ومالت بجذعها نحو السيدة روحية التي كانت تتنفس بصعوبة، وعدلت من وضعها في محاولة لرفع رأسها وإيقاف النزيف، ثم مسحت أنفها بمنديل ورقي، وأخذت تربت على خديها لتجعلها تستفيق، وفكرة أنها تحتضر تمزقها من الداخل..

لم تستجب السيدة روحية لمحاولاتها الأولى، فأسندت رأسها على ظهر المقعد، وعبرت بنصف جسدها فوقها، وأخذت تبحث عن المقبض الذي يجعل المقعد ينزلق إلى الخلف، ليتحول إلى فراش مؤقت..

وعندما لامسته أصابعها ضغطت عليه، وعدلت من وضع السيدة روحية فوقه، قبل أن تمد يدها لحقيبتها، وتخرج زجاجة مياه معدنية، ارتشفت منها رشفة لترطب حلقها، ثم سكبت بعضها على يدها، وأخذت تبلل به وجه السيدة روحية..

وبرغم كل هذا الجهد المبذول لم تستجب لها، فنظرت حولها في قلق، ثم تسمرت نظراتها عند وصلت إلى البيت..

كانت الروح المتوهجة، ذات الهيئة المروعة، تقف في شرفة

البيت، وهي تشير بإصبع واحد، وكأنها تقول في تهديد:

- أنت التالية.

شعرت زينب بدقات قلبها ترتفع، وأنفاسها تتصارع، وكافحت كي لا تفقد وعيها من الرعب، وهي تفكر هل كانت تقصد السيدة روحية بإشارتها القاتلة، أم كانت تقصد أحد رفاقها..

وفجأة سمعت صوت نقرات على زجاج النافذة التي تجاور السيدة روحية، فنظرت بسرعة صوب النافذة، وقلبها يدق في عنف.

وعندما رأت الوجه المجهول الغارق في الظلام الذي يطل عليها من خلف الزجاج المغلق، صرخت بعنف وفقدت الوعي على الفور.

بيت مسكون

- استيقظي يا أنسة زينب، استيقظي لو سمحت، ليس هذا الوقت المناسب لفقدان الوعي.

تسلل الصوت الأنثوي الناعم إلى أذنيها، وترجمه عقلها نصف الواعي، وعندما فهمت مغزاه، انتفضت في مكانها مستيقظة، وصرخت:

- الروح القاتلة.. إنها تقتلهم.

عاد الصوت ليقول بهدوء مطمئن:

- نحن فقط الموجودين معك.. لا توجد أرواح أو أشباح هنا.

بعدها صمت الصوت، ثم عاد ليهتف بطبقة أعلى:

- لقد استعادت وعيها، إنها بخير الآن يا سيادة المقدم، سنصحب السيدة الأخرى إلى المستشفى العام، ودكتور ماهر سيكمل معك المهمة.

سمعت الحوار، ولكنها لم تفهمه على الفور، وعندما جاءت سيرة المرأة الأخرى، تذكرت السيدة روحية، وصرخت:

- أين السيدة روحية؟ ماذا فعلتم بها؟!.

دوى في أذنها صوت المقدم حسان الخشن، وهو يقول

بهدوء:

- شكرا لك يا دكتورة أمنية أتعبناك معنا، إن شاء الله يكفي وجود الدكتور ماهر، وأدعو الله ألا نحتاج لاستدعائك.

بعدها دوى صوت سرينة سيارة الاسعاف، وهي تنطلق مغادرة المكان، وقد غمر ضوئها الملون كل شيء، قبل أن تسمع الرائد حسان يقول بلهجة ساخرة:

- لم أتوقع أن تكوني بمثل هذه الرقة والهشاشة يا أنسة زينب، لقد فقدتي الوعي بمجرد أن ظهر لك وجه المعاون حمد خلف زجاج النافذة.. إنه خطأك فلم تشعلي أضواء الانتظار كما أخبرتني، واضطررنا للبحث عنك بأنفسنا، لنجدك فاقدة الوعي أنت وتلك السيدة العجوز النازفة ذات الرأس المحطم، فاضطررنا لكسر النافذة الخلفية الصغيرة وفتح الأبواب، وقامت الطبيبة بإفاقتك، ونقل تلك السيدة العجوز النازفة فاقدة الوعي للمستشفى.

خلال حديثه، كانت قد استعادت جزءا كبيرا من وعيها، وتركيزها، فتنفست بعمق، وقد ظهر الخجل على وجهها وهي تقول في حياء:

- أسفة على كل ما كبدته لك من مشقة يا سيادة المقدم، وشاكرة لك على جهدك العظيم، وأرجو منك أن تسارع بإنقاذ

رفاقي.

هز رأسه في تفهم، وقال:

- ثلاثة من خيرة رجالي، يقومون بتمشيط البيت الآن، دقائق ويأتي لك خبرهم، أقصد أخبارهم.

لم ترق لها دعابته، ولكنها منحته ابتسامه باهتة وهي تقول:

- شكرا جزيلا يا سيادة المقدم حسان، وأتمنى أن أكون قد تواصلت معك في الوقت المناسب، وأقبل عذري، فأنا لدي بعض الاستفسارات، فهل يمكن أن تجيبني عليها، لو يتسع لها صدرك ؟.

نفض قدميه من الوحل، ودخل إلى مقعد السيارة المجاور لها، والذي كانت تحتله السيدة روحية منذ دقائق، وأخرج سيجارة مستوردة، ولوح لها بها، وهو يقول:

-هل يضايقك أن أدخن؟.

هزت رأسها بمعنى أنها لا تبالي، فأشعل سيجارته، وقال في اهتمام:

- أي استفسارات تلك التي ترغبين مني توضيحها، المفروض أن أقوم أنا بطلبها منك أنت.

أجابت بسرعة:

- سأجيبك عن كل شيء، ولكن أولا أخبرني وبصراحة، هل السيدة روحية ما زالت على قيد الحياة، وما هي قصة هذا البيت الملعون؟.

نفث دخان سيجارته من النافذة، ثم استدار ليواجهها، وقال:

- لو كنت تقصدين المرأة العجوز التي كانت في سيارتك، فالدكتورة أمنية أخبرتني بعد الفحص الأولي أنها بخير حال، هي فقط فاقدة للوعي، ونزيف أنفها مجرد عارض لتعرضها لضغط واجهاد شديدين.. وبالنسبة للبيت فأعتقد أن قصته لا تناسب الأجواء التي نحن فيها، عليك أنت أن تخبريني عن السبب القهري الذي يجعل فتاة مثلك تقوم بهذه الرحلة الشاقة بعيدا عن العاصمة بصحبة بعض الأغراب، ويقتحم رفاقها منزل كريه كهذا، في طقس هو الأسوأ منذ عدة أعوام.

تنفست زينت الصعداء في قوة، بعد أن أطمأن قلبها على السيدة روحية، التي كانت تظن أنها اسلمت الروح بعد فقدانها الوعي، وقالت في لهفة، وعناد:

- سأخبرك بكل شيء يا سيادة المقدم حسان، فقط أرح قلبي وقص علي حكاية البيت، فمن الواضح أنك تعرف عنه

الكثير.

وأمام تصميمها وعنادها الرهيبين، ونظراتها الطفولية القاهرة، قال المقدم حسان باستسلام:

- أنا أخدم هنا منذ خمس سنوات، ولابد أن لهجتي أخبرتك أنني من أهل الجنوب من الصعيد كما تقولون، ومن المنيا تحديدا، وبرغم هذا أصبحت ملما بكل تفاصيل هذه المدينة التي أعمل على حمايتها، وفرض الأمن بها، وخلال السنوات الخمس الماضية، لم يزعجني في حياتي مثل هذا البيت الملعون، كل مصيبة تحدث فيه يتم استدعائي من أجلها.

اتسعت عينا زينب من الدهشة، وهي تقول:

-إنها مصادفة عجيبة، أن أستعين بك أنت بالذات، من أجل هذا البيت، إن المصادفات تحدث، ولكن ليس بمثل هذه الفجاجة.

أخذ نفسا أخيرا من سيجارته قبل أن يلقيها، ويقول في جدية:

- لا توجد مصادفات في هذا العالم، يمكنك أن تطلقين عليها تدخلات القدر، إنها علامات وإشارات خاصة، لإنجاز أهداف معينة، بطرق علوية غير مباشرة، وغامضة في بعض الأحيان.

عادت تطلع إليه في دهشة قائلة:

- هل أنت صوفي؟!.

ابتسم لتعليقها الساذج وأجاب:

- أنا رجل يؤمن أن كل شيء يمضي من قدر الله إلى قدر الله، ولا مجال للمصادفات، حتى لو كانت تخالف اعتقاد خاص في داخلنا، إن عناية الله بنا لا تتوقف، نحن فقط من نحب أن نمنح كل شيء أسماء وتفاسير، والأفضل أن نترك بعض الأمور على طبيعتها، ونؤمن بحدوثها فقط.

لم تتوقع منه كل هذا الحديث الفلسفي، ولما كانت تحاول شغل عقلها عن الدائر بأعماق البيت المشؤوم، فإنها قالت:

- لن أجادلك كثيرا في قناعاتك هذه، ولكني أرغب في معرفة حكاية البيت، وكل ما يدور حوله، ولماذا تحمل له كل هذه الكراهية؟.

أشعل الرائد حسان، سيجارة جديدة، ثم قال ببطء:

- في عامي الثاني في هذه المدينة، وأثناء مناوبتي الليلية، تلقيت أول بلاغ عن هذا البيت المشئوم، ...

قاطعته زينب كعادتها وقالت:

- وماذا كان يوجد في هذا البلاغ؟!.

تململ المقدم حسان في مكانه، وظهر عليه أنه منزعج لإتمام هذا الحوار في هذا التوقيت العصيب، فقد كان من الجلي على وجهه أنه يرغب في تركها، والذهاب لمتابعة رجاله الذين يقومون بتفتيش البيت حسب تعليماته، وإنهاء المهمة التي تعتبر مجاملة لصديق قديم..

فقرر أن يخبرها بسرعة، وهو يراقب المكان ببصره، وذكريات البيت المشؤومة تتواتر إلى عقله، بعد أن نكأها سؤال زينب.. فترك جسده يسترخي على المقعد المريح، ليكشف سر البلاغ لزينب، التي كانت تجاهد هي الأخرى لإبعاد ذهنها عما يحدث في ذلك البيت المشؤوم ، ويقينها بأن رجال المقدم حسان، سيعودون بجثتين ممزقتين لرفيقيها، في كيسين للجثث وقد تم التهام أجزاء منهما، لذا فإنها انصتت له، وهو يقول:

- البلاغ في البداية لم يتجاوز كونه مجرد بلاغ عن نشوب حريق في أحد المنازل بالمدينة، مجرد بلاغ معتاد جدا وستتكفل به الحماية المدنية ورجالها، ولكن غرفة العمليات يومها أبلغتنا، بأن رجال الحماية المدنية عثروا على عدة جثث متيبسة، لا علاقة لها بالحريق المجهول المصدر في أحد طوابقه.

شهقت زينب من المفاجأة، ورددت بغير وعي:

-عدة جثث وليس جثة واحدة، وما معنى متيبسة هل تقصد متعفنة؟.

رمق المقدم حسان البيت بنظرة جانبية ثم قال:

- ست جثث، جثتان لأب وأم، وجثتان لطفل وطفلة، وجثتان لكلب وقطة، وجميعهم تم رصهم بعناية بجوار جدران إحدى الغرف، بعد أن تم حقنهم ببعض المواد الكيماوية التي عملت جزئيا على تحنيطهم، فلم يتعفنوا، بل صاروا متيبسين كالتين المجفف..

قالها ثم صمت ليأخذ نفسا من سيجارته، ثم قال:

- لو رأيت هذه الأشياء في مسقط رأسي، لقلت أنها تتم من أجل قهر رصد على أحد المقابر الأثرية السرية، ولكن أن تتم هنا، وفي مدينة لا توجد فيها شبهة البحث عن أثار، فقد حيرني هذا.

تساءلت زينب في غير فهم:

- وماذا يعني كل هذا؟.

كان المقدم حسان منشغلا بمتابعة ما يجري في البيت ببصره، عندما لمح وميض كوميض انطلاق رصاصة فقال:

- لنكمل حديثنا فيما بعد، فالرجال اشتبكوا مع بعض المجهولين، أتمنى ألا يكونوا أصدقائك وقد أصابهم الجنون، فالبلاغ الثاني كان عن وجود مجانين بالبيت.

قالها وهبط من السيارة فتبعته بلهفة، وهي تتساءل في دهشة:

- مجانين؟.

رد بسرعة وهو يشير لها ألا تتبعه:

- البيت مسكون ويثير جنون كل من يدخله؟.

صرخت في هلع وقالت:

- ولماذا ستدخله؟.

قال وهو يركض صوب سيارته، ليحضر سلاحه الشخصي وخزنتان إضافيتان من الرصاص، ويشير لاثنان من رجاله ليتبعوه، بعد أن فشلت كل محاولاته للتواصل مع رجاله الموجودين داخل بيت الدرديري عبر اللاسلكي:

- أنا لا أترك رجالي خلفي أبدًا، كنت أأمل ألا يحدث هذا قط.

نظرت زينب نحو البيت المظلم في رعب، وهي تفكر: لقد تحول المكان إلى سيرك كبير، وفخ عظيم، قادتهم إليه تلك

الروح القاتلة، التي لم يقابلوا لها مثيل.

هل كانت الروح الدموية، تعلم حقيقة هذا البيت المشئوم، وحقيقة القوى النفسية التي تسكنه، والتي تصيب من يدخله بالجنون، وهي تقودهم إليه؟

ولو كانت تعلم؟!

فمن أين استقت معلوماتها هذه، أم هي أحد ضحايا البيت نفسه؟

ثم ماذا عن رفاقها، والمقدم حسان ورجاله، هل سيعود أي منهما حيا؟

ولو عاد حيا، فهل سيعود بعقله، أم سيلتهمه منزل الجنون؟

هل هذه المطاردة ستعني نهايتهم؟

كل شيء مفزع حتى كمجرد فكرة..

وفي النهاية رمقت البيت في صمت، وأخذت دموعها تغرق وجهها دون أن تشعر.

وفي اللحظة التالية تحول البيت وما حوله إلى كتلة من الضياء الأبيض، وشق المكان صرخة عاتية!!

وكان من الواضح أن الروح القاتلة، سترتكب الليلة مذبحة

حقيقة!.

في حضرة الجنون

تقدم المقدم حسان من بيت الدرديري المسكون الذي كان يشع كقنبلة من الضياء الأبيض الوهاج، وخلفه يتحرك اثنان من أمناء الشرطة ضخام الجثة، وسط مياه المطر الراكدة، والأوحال، وكل منهم يقبض على سلاحه بقوة واحترافية بيده اليمنى، وقد حمل في اليد اليسرى مصباح يدوي مضاء، فلا أحد يدرى متى يتلاشى الضياء، ويعود البيت إلى ظلامه..

وأخيرا وصلوا إلى بوابة البيت المفتوحة على مصراعيها، فدخل المقدم حسان على الفور، وأمينا الشرطة يتبعانه كظله، وهو يقول في صرامة:

- لقد انتقيتكم من وسط رجال القسم، أنتم وزملائكم الثلاثة الذين سبقوكم لاستكشاف بيت الدرديري، لأنكم في المرات السابقة استطعتم دخول البيت والخروج منه بسلام، دون أن يصيبكم ما أصاب رفاقكم من جنون وفقدان سيطرة.

وخلال حديثه، كان قد عبر مدخل البيت الضيق، هو ورجاله، ووصلوا لباب شقة الطابق الأرضي، فصمت، ثم أعطى ظهره للباب المغلق، وعاد يكمل حديثه قائلا:

- الجنون هنا كالفيروس، وأنتم محصنون منه، لا أريد منكم أي تحركات متهورة، ولا إطلاق نار في المليان، حتى لا نصيب زملاءنا أو الاثنان الحمقى اللذين سبقوهم، فحتى لو كان البيت مسكون، فلن تؤثر الرصاصات في عُمّاره، ولكنها ستقتل البشر.

زفر في عمق ثم عاد يحدثهم:

- مهمتنا محددة، إخراج زملائنا وهؤلاء الحمقى بأقصى سرعة، لا نرغب في أي حماقات أو استعراض قوة أو شجاعة، هلم معي يا عادل لنفحص هذا الطابق أولا ، وأنت يا ابراهيم ستؤمن ظهورنا.

أجابا في نفس واحد:

- تحت أمرك يا فندم.

وتعاون المقدم حسان، ورجليه لتحطيم كالون الباب، وخلال نصف دقيقة، كانوا قد استطاعوا تهشيمه، فدخل الأمين عادل مع المقدم حسان الشقة، وبقى ابراهيم على بابها ليؤمن ظهورهم حسب الأوامر..

الضوء بالداخل كان كالضباب الأبيض أو الحليب، هو يضيء المكان، ولكنه يعوق الرؤية بشكل غريب، وعندما استخدموا مصابيحهم، تبدد كالظلام، فاستطاعوا الحصول

على رؤية جيدة..

كان المقدم حسان يرغب بالفعل في المغادرة بشكل سريع، لذا أخذ يندفع من غرفة لأخرى بعد فحصها بدقة وسرعة، والتأكد من خلوها من أي شيء مريب، وهو يتفحص آثار الأقدام الدامية المنتشرة في كل مكان، والرماد الحديث الذي تبعثر في كل مكان بشكل عشوائي، وهو يدعو الله ألا تكون دماء أحد رجاله.

وعندما هم بفحص المطبخ، لمح بطرف عينيه عند باب الحمام الموارب حذاء شخص غارق في الوحل والدماء وملقى على الأرض، وعلى الفور تقدم مع أمين الشرطة نحوه الحمام، وبفحصه، وجدوا بداخله شخص بدين، غارقا في دمائه، وصدره يعلوا ويهبط بمعدل أقل من الطبيعي، ولم يكن أحد رجالهم..

وعندما تأكد من كونه حيا وبشريا، أخرج المقدم حسان جهاز اللاسلكي وضغط على زر الاتصال، فلم يعمل، فحدث سائق سيارته الذي يمثل وحدة الدعم على هاتفه المحمول مباشرة قائلا:

- أمين عزت، أرسل لنا الدكتور ماهر مع محفة واثنان من الممرضين في الطابق الأرضي، وأطلب من الدكتورة أمنية أن تعود هنا مع طاقمها الطبي، وأخبر الدكتور ماهر أن الشخص

المعني مصاب بتهتك كبير في قدمه اليمنى، وأنه سيحتاج لإسعاف عاجل، وعلى الجميع أن يقابلونني عند البوابة.. لا أحد يدخل البيت.. أكرر.. لا أحد يدخل البيت.

أتاه صوت الأمين عزت قائلا:

- تمام يا فندم.

قالها ثم وضع هاتفه المحمول في جيبه، وحاول تشغيل اللاسلكي مرة أخرى، فضغط على الارسال مرات متتالية فصدر عنه بعض التشوش الاستاتيكي، دون أن يحدث تواصل.

بعدها صرخ المقدم حسان على الأمين ابراهيم ليترك حراسة الباب، ويأتي ليعاونهم في حمل المصاب البدين.

وفي سرعة معقولة تم الأمر، وسلما للدكتور ماهر المصاب، وساعداه لإدخاله عربة الاسعاف، التي وقفت بظهرها تواجه البوابة..

كان تفكيرا صائبا من قائدها أو من الدكتور ماهر، فإحضار سيارة الاسعاف بالقرب من البوابة، أفضل كثيرا من المجازفة بحمل المصاب وسط الوحل والأرض الزلقة..

وأكد المقدم حسان على الطبيب أن يسلم المصاب لقسم

الطوارئ، ويعود مع طاقمه في أسرع وقت، لأنه من الواضح أن الليلة ستكون مشحونة بالمزيد من المصابين، وبعدها طلب بعض التعزيزات من قسم الشرطة، وطلب منهم إحضار كشافات الشرطة العملاقة، ثم قال مؤكدا:

- أريدكم فور وصول الكشافات، تسليطها على هذا المبنى المدنس من كل الاتجاهات الممكنة، لا نريد أن نكرر أخطاء المرة السابقة ونتخبط في الظلام.. أريدكم أن تحيلوا المكان لنهار، ولا يقوم أي فرد من قوة التعزيزات باقتحام المبنى قبل مرور ربع ساعة، من عدم استجابتي بالرد على هاتفي المحمول لأنه وحده ما يعمل بالداخل ولا أفهم لماذا. والاقتحام الفوري في حالة الطوارئ، ومن يحددها هو الرائد عزيز بنفسه.

ووسط كل هذا كانت زينب تنظر بذهول إلى البيت المشتعل بذلك الضياء الأبيض المريب، وسيارة الإسعاف التي تعمل على نقل أحد المصابين دون أن تجرؤ على الاقتراب لمعرفة من هو أو ما حدث له..

خوف عميق مجهول سيطر عليها..

إنها مدركة أن البيت نفسه يبث طاقة سلبية ونفسية مخيفة من حوله، وهذه الطاقة تؤثر عليها بشكل مريب، فهي تشعر وكأن هناك من يتلصص على عقلها من داخل البيت،

ويبث في روحها تلك الأحاسيس الموحشة..

لقد أجادت الروح هذه المرة اختيار ساحة المعركة، فالبيت له تاريخ إجرامي مريب، فهو قبلة للقتلة، والمشعوذين، والمجانين، وأخيرا قبلة للأرواح الغاضبة القاتلة، التي تجيد بالفعل، استثمار ما يموج بداخله من طاقات نفسية مظلمة.

إنها المرة الأولى التي تشعر فيها بأنها لا ترغب بفعل شيء سوى الفرار، ولكنها غير قادرة عليه، فعلى الأقل عليها أن تلتزم بجزئها من الخطة، طالما هي غير قادرة على مد يد المساعدة لرفاقها..

لم يلتفت لها أي شخص، ولم يطلع أحد على مخاوفها ليعينها عليها، فعادت إلى السيارة التي لم يتوقف موتورها عن الهسيس، وجلست خلف عجلة القيادة متحفزة، وهي تفكر في الاتصال على أمها، لتحصل على بعض الدعم المعنوي، ولكنها في النهاية طردت الفكرة من رأسها، فأمها برغم طيبتها وحبها لها، لن تتفهم موقفها، وستقلب عليها الدنيا، عليها أن تظل على جهلها، وتظن أنها تقضي الليلة عند صديقتها.

في نفس اللحظة كان المقدم حسان يصعد في شجاعة لافتة، وخلفه رجليه درج الطابق الأول مهتدين بمصابيحهم اليدوية القوية، التي كانت تبدد الضوء الأبيض الثقيل..

وما أن وصلا هناك حتى شهق الأمين ابراهيم، في حين كتم الأمين عادل أنفاسه، بينما هتف المقدم حسان:

- اللعنة أي جحيم يدور في هذا المكان؟!.

فقد كان أمامهم رأس وفراء وجزء من أشلاء كلب نافق، مصابة بعدة رصاصات وإن كانت تبدو طازجة إلى حد كبير..

فأين ذهب باقي الحيوان؟

عطلتهم الصدمة عن تفتيش شقة الطابق الأول، لدقيقة، وكان أول من استفاق هو الأمين إبراهيم، الذي تساءل قائلا:

- ماذا سنفعل الآن يا فندم؟.

انتبه المقدم حسان إلى أن صدمته طالت بشكل غريب، وسجل هذه الملاحظة بداخل عقله، قبل أن يلتفت إلى مرافقيه ويقول:

-ما قمنا به في الطابق الأرضي سنطبقه في هذا الطابق بحذافيره، سنبحث عن قتلى أو مصابين، توقعوا كل شيء، ولا يترك أحدكما الأخر لحظة واحدة.

أجابا بتلقائية:

- تمام يا فندم.

كان باب شقة الطابق الأول مغلق، تماما مثل شقة الطابق الأرضي، فأشار المقدم إلى مرافقيه ليساعداه في تهشيم الباب، وعندما اصطدمت أكتافهم بالباب الخشبي الثقيل، تزحزح الباب للخلف، ثم ارتد إلى مكانه بسرعة، وخلفه سمعوا صوت شهقة، وهمهمات غير مفهومة، فقال أحد أمناء الشرطة في توتر:

- الباب مفتوح يا سيادة المقدم، ولكن هناك من يقف خلفه، ويمنع فتحه، ربما يكونوا زملاءنا!.

أشار إليه المقدم حسان بالصمت، وأشار لهما أن يتأهبا ويوجها مصابيحهم وأسلحتهم صوب الباب، ثم أقترب من الباب وطرقه طرقة خفيفة مسموعة، وقال في صرامة:

- الأمين حمد، الأمين صالح، الأمين محمد، أي شخص منكم متواجد خلف الباب، يعلن عن نفسه .

دار حوار هامس خلف الباب لم يفهم منه حرف واحد، فعاد يقول بصوت مرتفع أكثر:

- نحن هنا من أجل إخراجكم من هذا البيت المدنس، أنا هنا المقدم حسان، ومعي الأمين إبراهيم، والأمين عادل، لا تخشوا شيئا، نحن لا نحاول خداعكم أو التغرير بكم.

ساد الصمت للحظات، قبل أن يأتي صوت مضطرب من

الداخل يقول في توتر، وذعر:

- وكيف نتأكد من أنكم من تدعون، ولستم ذلك المسخ الرهيب؟.

نظر الأمين ابراهيم للأمين عادل بتوتر، بينما قال المقدم حسان:

- المهمة الأخيرة كانت ضبطية مخدرات في بلشاي، وقد أصيب عمر باشا كامل، والرائد وليد مهنى، حتى الجن الأزرق لن يعرف هذه المعلومات.

عاد النقاش من الداخل بصوت أعلى هذه المرة، وفي النهاية، فتح الباب، ليجدا في النهاية، الأمين محمد والأمين صالح، واقفان يرتجفان، فسأل المقدم حسان في لهفة، عن الأمين حمد، فجاءت إجابة الأمين محمد سريعة:

- لقد انفصلنا عند باب الطابق الأول، وصعد هو إلى الطابق الثاني، بينما بقيا هنا لنفتش الطابق الأول، فقد كان الأمر لا يستدعي وجود ثلاثتنا، عندما .. عندما...

هتف المقدم حسان في صرامة:

- عندما ماذا؟.

أجاب الأمين محمد بسرعة:

-عندما ظهر أمامنا ذلك المارد الرهيب بعينيه المتوهجتان، وعندما هم بمهاجمتنا، أطلقت عليه رصاصة من مسدسي استقرت في جسده المتوهج، ورأيتها تخترقه، وكأن جسده من هلام رجراج، وعندما أصابته اتسعت عيناه الرماديتان الوحشيتان، وأضاء قلبه الدموي، وتراجع إلى الطابق الثاني بسرعة.

زم المقدم حسان حاجبيه، وقال مندهشا:

- قلبه المتوهج، وعيناه الرماديتان، وجسده الهلامي الرجراج، ما هذا الوصف الغريب؟.

وهنا قال الأمين صالح:

- ما يخبرك به الأمين محمد صحيح يا سيادة المقدم، فقد رأيته بنفسي، مارد هلامي مشع، له عينان رماديتان شبه بشريتان، ولكنهما عندما أصابته الرصاصة، تألقتا بقوة، كما تألق قلبة الدموي، هذا غير أني رأيت في الجزء السفلي من الجسد الهلامي، ما يشبه رحم كرحم النساء، و....

في نفاذ صبر قال المقدم حسان:

- وماذا، تحدث مباشرة، لا تتحدث كالمخنثين يا أمين صالح.

ابتلع الأمين صالح الإهانة وقال:

- خيل إلي أن الملامح التي رأيتها كانت تشبه ملامح ماردة، وليست مارد، إن من هاجمنا أنثى، أعتقد ذلك.

زفر المقدم حسان في عصبية ثم قال:

- تبا لك يا أمين صالح، مارد أم ماردة ما الفارق، هل نحن ذاهبين لخطبتها، هل لديك أي معلومات أخرى؟.

هز رأسه في ضيق، في حين تنحنح الأمين محمد قائلا:

- هناك شيء أخير لاحظته أنا أيضا.

استدار له المقدم حسان، وجميع الأمناء فقال :

- الرصاصات تؤلم ذلك المارد المخيف، لقد لمحته يتألم بشدة، ووجهه الهلامي تجعد للحظة، فأعتقد أن رصاصتي أصابته في مكان حيوي، وربما هي قادرة على قتله، لقد رأيته يرتجف أيضا، قبل أن أسحب الأمين صالح ونغلق الباب علينا.

هنا هتف المقدم حسان وقال:

- ينصر دينك يا صالح، هذه هي المعلومات، أعدوا أسلحتكم جميعا يا وحوش، ولنجعلها المواجهة الأخيرة بيننا وبين ذلك المارد، لنطهر بيت الدرديري من دنسه، فما يقتله

الرصاص هو ماض منتهي.

في نفس اللحظة، وفي المستشفى العام، صرخت السيدة روحية في قوة، وانتفضت في فراشها جالسة وهي تقول:

- لالالا.. إنه سيقتلهم جميعا، سيقتلهم بلا رحمة.

لم يشعر أحد بصحوتها داخل غرفتها المغلقة..

ولم يستمع أحد لتحذيرها..

فعادت لغيبوبتها..

وكان من الواضح أن الليلة لن تنتهي بخير..

على الجميع.

المواجهة

شهر المقدم حسان مسدسه أمام وجهه وقبض عليه بيديه الاثنين، وهو يصعد الدرج المؤدي إلى الطابق الثاني، وهو يهمس لرجاله:

- مهمتنا ناجحة حتى هذه اللحظة، لقد أنقذنا أحد الضحايا، ومازال هناك أحد الأبرياء في الطابق الثالث بصحبة الأمين حمد، انظروا جيدا قبل أن تطلقوا الرصاص، لا نريد إصابات لا داعي لها.

ردوا عليه بهمهمات هامسة مكتومة، وهم يندفعون خلفه صاعدين الدرج الغارق في الضياء الأبيض العجيب، الذي تبدد سحبه مصابيحهم اليدوية القوية، وكل منهم يقبض على سلاحه في قوة، وأعصابهم جميعا كقوس متوتر، يحتاج فقط لضغطة واحدة إضافية للانفلات، ويتحول المكان بعدها إلى جحيم حقيقي، وهو ما لا يرغب به المقدم حسان.

ولكن كان للبيت رأي أخر.

فما أن لامست أقدامهم الطابق الثاني، حتى تلاشى الضياء الأبيض الثقيل، وأظلم المكان كله دفعة واحدة، إلا من أضواء مصابيحهم اليدوية، وظهر ضوء أزرق باهت يتسرب من تحت عقب الباب المغلق.

وعلى الفور ساد التوتر بينهم، ورفعوا جميعا أسلحتهم أمامهم في تحفز وصوبوها باتجاه باب الشقة الخشبي المغلق، وقد شملهم جميعا خوف مجهول، لدرجة أنه لو صفرت الرياح بشكل بسيط وعفوي، لاعتصروا أزندة أسلحتهم، ولغربل الرجال المتوترون المكان الصادر عنه الصوت بالرصاصات، حتى تفرغ خزائنهم.

قرأ المقدم حسان ما يحدث بسرعة واحترافية، فأدار دفة الموقف بسرعة، وحول انتباههم إليه بمهارة شديدة، وهو يحثهم على التقدم، قائلا بحماس مفتعل أخفى جزءا كبيرا من توتره:

- مهمة عادية ننهيها بنجاح يا وحوش، ونغادر هذا المكان الدنس سيء الرائحة، لا داعي للتهور أو انفلات الأعصاب، واجهنا من قبل الموت، وهنا بعض الأوهام فحسب، نحن لها.

أجابوا عليه بهمهمات متوترة دلت على قلق شديد، فتقدمهم نحو باب الشقة الموجودة بالطابق الأخير، ليؤكد لهم أنه أول المتطوعين لمواجهة الخطر، وأنه قائد وليس مجرد معطي للأوامر.

وبعد أن أنهى حديثه الحماسي المفتعل، لاحظ شيء أقلقه، ولا يعرف هل انتبه إليه الرجال أم لا؟ فالصمت في هذا الطابق كاسح، لدرجة أن صوت الأمطار التي بدأت تنهمر

في الخارج، وهديرها يصم الآذان وهم صاعدين على درج الطابق الأول لا يصل إليهم في هذا الطابق..

صمت مميت، جعل لكل نفس يخرجه صدى ودوي، وهذا أجبره لأن يتخذ موقفا مضادا، فيتحدث بعزيمة محاولا رفع حماسة رجاله:

- أقولها للمرة الأخيرة، مهما حدث نحن معا، وكل منا سيحمي ظهر زميله، لا شيء قادر على هزيمتنا ما دامنا يد واحدة.. نحن نعرف جميعا أن المكان به أشياء غير طبيعية، وهو لم يهزمنا من قبل ليهزمنا الآن، خمس دقائق نحضر حمد والشخص الأخر، ونغادر جميعا سالمين.

برغم أن خطبته كانت بصوت منخفض، ولكنها شحذت شجاعة رجاله، وجعلتهم أكثر تماسكا، وقللت من توترهم، وعندما لاحظ هو هذا، استدار نحو باب الشقة المغلق كالعادة!!

تأمل الضوء الأزرق الباهت المتسرب من أسفله، ثم سحب نفسا عميقا ملأ به صدره، ثم طرق الباب..

طق.. طق.. طق.

سيطرت عليه فكرة أن المتواجدين في الطابق الثاني قد ساروا على نهج من كانوا في الطابق الأول بإغلاق باب

الشقة، والتواري خلفه، بعد صراعهم مع المسخ الهلامي الذي يسكن هذا المكان..

وهذا جعل فكرة عجيبة تقفز إلى رأسه: هل إغلاق الباب يمنع ذلك المارد أو الشبح أيا كان نوع هذا الشيء من العبور خلاله؟

لو كان هذا بالفعل حقيقيا، فهو ليس شبح أو مارد بالمعنى المتعارف عليه، بل هو مخلوق مجهول له جسد مادي.. وهذا في مصلحتهم بدرجة كبيرة، لأنه لو كان مجرد مارد أو روح أو شبح، فهذا يعني أن رصاصاتهم لن تؤثر فيه..

كل القرائن تدل على أن الرصاصات قادرة بالفعل على قتله أو إيذائه في أسوأ الظروف، وإلا فلماذا هرب من أمامها؟

إنهم قادرون على حصاره أيضا.

طق.. طق.. طق.

لا أحد يستجيب لطرقاته..

طق.. طق.. طق.

نفس الشيء.

كررها عدة مرات، ثم أفسح المجال لرجاله الذين قاموا باغتصاب الباب من ضربة واحدة، لتنكشف أمامهم صالة

شقة الطابق الثاني، التي كانت تشبه الصالة في شقتي الطابقين الأرضي، والأول في كل شيء ماعدا الضوء الأزرق المتوهج.. الذي كان يغمر جميع حوائط الشقة الداخلية، في مشهد مبهر، كلوحة من الضياء رسمها فنان سريالي مجنون..

خطفت الأضواء عيونهم، وكادوا أن يغرقوا في دوامتها الساحرة، لولا الرائحة الكريهة المتصاعدة التي هي خليط من عفن وصدأ وقيء، وصوت الأنين الموتر للأعصاب..

أنين متواصل، ومفجع، ويائس.. ليس أنين فرد واحد، بل أنين مجموعة، تتألم وتتوجع وتحتضر..

وما أن تقدموا متخذين تشكيل هجومي تدربوا عليه في عمليات سابقة، حتى رأوا ما لن يغادر كوابيسهم ما بقي لهم من عمر..

فالصالة كلها، رسم على أرضيتها نجمة خماسية عملاق مقلوبة، محفورة ومصقولة بدقة متناهية، وكل فراغاتها امتلأت برموز ورسوم عجيبة محفورة بنفس الطريقة، التي تميز ممارسي السحر الأسود.

الفرق الوحيد أنها كانت تتألق بنفس الضوء الأزرق الوهاج..

وبجوار حوائط الصالة تمدد سبعة من الصبية رثي الثياب في أعمار مختلفة، أكبرهم في السادسة عشر من عمره

تقريبا- لابد من أنهم من قاطني الملجأ القريب- بانتظام مثير للدهشة، ومعهم الأمين حمد بجسده النحيل، وموسى بجسده الضخم فاقدي الوعي أو الحياة، وعلى مقربة منهم كلبان، وثلاث قطط، في مشهد مروع.

وفي منتصف الصالة المكتظة بالأجساد الهامدة، وفوق النجمة الخماسية التي أخذت تتألق بنفس الوهج الأزرق الساطع، تمدد الطيف الهلامي القاتل، في هيئة كابوسية مروعة..

فرأسه الهلامي المتوهج احتوى بداخله على عينين رماديتين شيطانيتين، وأنياب حادة غير بشرية، ومخ دموي متوهج..

بينما كانت هيئته الخارجية لوحة للشناعة والبشاعة بتلك الأوردة الحمراء، والشعيرات الدموية التي كانت تمتد في كل مكان داخل كيانها الهلامي شبه البشري، جنبا إلى جنب مع تلك الشبكة العصبية المشعة، التي كانت تنطلق عبرها شرارات متوهجة، دليلا على امتلاكه جهازا عصبيا ماديا، ليكمل اللوحة المخيفة.. وكأنك تنظر بالفعل إلى جسد بشري قام جزار محترف بسلخ جلده، لتنكشف كل أعضائه الداخلية، وهو على قيد الحياة.

في ذهول تام تأمل المقدم حسان، المنظر المفجع أمامه،

وهو يفكر أنه بشكل ما أصبح لساكن بيت الدرديري كيانا ماديا..

وهذا الكيان المادي المروع، تخرج منه شبكة من الهلام المتوهج، كممصات أخطبوط عملاق نابضة، تمتد من نقاط متألقة في كيانه الهلامي، لتنغرس في أجساد الأطفال الهامدة، الممددين بجوار الجدران، والرجلين الموازيين لهم، والكلبين والقطط..

وكان من الواضح أن تلك الممصات المتوهجة النابضة، تستنزف حيويتهم، بلا هوادة..

وعلى الرغم من بشاعة المنظر، إلا أن عملية الاستنزاف بدت منظمة بشكل ما!!

فمن اليمين إلى اليسار، كانت الممصات الهلامية النابضة تستنزف أجساد البشر والحيوانات، بشكل أكبر وأعمق من الممصات المرتبة من اليمين إلى اليسار.

والملاحظ أن ضوئها كان يبهت مع تحول الحيوانات الخمسة، والأطفال الأربعة الذين في الجانب الأيمن إلى جثث متيبسة لا حياة فيها..

وكان من الجلي أن الطفل الخامس الذي كان يئن بطريقة تمزق نياط القلوب، في طريقه ليلحق بهم في عالم الأموات..

فغر رجال الشرطة أفواههم، وهم ينظرون للمعتقل الجهنمي المنصوب أمامهم في دهشة عظمى، وبسمل بعضهم وحوقل، واستعاذ البعض بالله من الشيطان الرجيم، بينما حاول المقدم حسان أن يحفز عقله ليعمل بكامل طاقته، ليفسر له الهول الذي يراه أمامه.

إنها المرة الأولى التي يرى فيها ماردا، أو شبحا أو عفريتا، يقوم بامتصاص الحياة من البشر، ليتحول هو أيضا إلى بشري، وهذا يعني أنه كما توقع، ليس ماردا ولا شبحا ولا عفريتا، فهل ما يحدث في هذا الطابق الملعون، هو عملية خلق عكسية؟

روح كائن هلامي من خارج عالمنا، تحاول الحصول على جسد من عدة أشخاص، لتتمكن من!!

من ماذا؟!!

الأمر يفوق مستوى تفكيره..

هل هو سحر أسود؟

أم أوهام يبثها منزل الجنون؟

هو لن يجنح بالطبع لفكرة المخلوقات الفضائية، و...

وفجأة دوى في عقولهم جميعا صوت مختنق، لامرأة

عجوز تصرخ بعنف:

- أحرقوا المكان.. أحرقوه على بكرة أبيه، وغادروه على الفور.

كان صوت المرأة العجوز من القوة لدرجة أنه زلزلهم جميعا، فأخذوا يدورون حول أنفسهم، شاهرين أسلحتهم في كل مكان، ثم تركز الصوت على عقل المقدم حسان، الذي انقلبت معدته، وأصابه غثيان رهيب، وهو يسمع الصوت المزلزل يصرخ فيه:

- اهرب أنت ورجالك ... اهرب قبل أن تفتك بكم.

بعدها دوت فرقعة محدودة في المكان، ثم سمع صرخة رهيبة للسيدة العجوز تدوي في المكان، وعلى أثرها تلاشى صوت المرأة المحذر..

وبسرعة حاول المقدم حسان أن يستجمع شتات نفسه، بعد تلقيه تلك الصدمة العقلية العنيفة غير المتوقعة التي زلزلته من أعماقه، وهو يفكر في كنه صاحبة الصوت وكيف استطاعت التسلل إلى عقله، وعقل رجاله لتأمرهم بإحراق المكان ومغادرته على الفور؟.

وعلى الفور صوب سلاحه باتجاه المسخ المتوهج، ويقول في صرامة:

- لا تجعلوا البيت يعبث بعقولكم، أضربوا في المليان، لا توفروا الطلقات، وحرروا الأسرى.

وكأن الرجال كانوا ينتظرون، هذه الأوامر، فأنقضوا على المسخ المتوهج، الذي أنتفض واقفا بهيئته المفزعة، دون أن يتخلى عن ضحاياه، وبكل خوفهم وتوترهم أفرغوا فيه خزن أسلحتهم، وبعضهم يتجه نحو زميلهم حمد، وموسى، والأطفال الذين لم يفقدوا حياتهم بعد..

وفي لحظة تحول المكان إلى جحيم.. فقد انسحبت كل الممصات من أجساد الضحايا الممددين بجوار الجدران، وبدأت تهاجم المقدم حسان ورجاله..

قفز المقدم حسان جانبا ليتفادى ممص ساحق استهدفه، في نفس اللحظة التي نجح فيها بعض رجاله، في إعادة تلقيم أسلحتهم، وأخذوا يطلقونه على المسخ الأخطبوطي، بلا هوادة..

كان من الواضح أن الرصاصات تجدي، لأن الممصات الأخطبوطية الشبيهة بالأذرع كانت تتراجع كلما أصابتها رصاصة، بل لقد طار أحدها منفصلا عن جسد المسخ الرهيب، الذي صرخ من الألم.

وبناء على أوامر المقدم حسان، الذي كان يفرغ خزانة

مسدسه، في جسد المسخ الماثل أمامه، والتي كانت تتموج وهي تخترق تكوينه الهلامي، انقسم الرجال لفريقين..

فريق يهاجم الأذرع، وفريق يخرج الضحايا، والمصابين.

ولم يكن الأمر سهلا..

لقد أطاحت الأذرع المتوهجة، باثنين من رجال المقدم حسان، وسببت لهما حروقا شديدة، وهشمت سيقان الثالث، وحطمت أحد الجدران في الصالة، وسط صرخات غاضبة حانقة، لا تنقطع.

وفي النهاية كان الرجال قد استطاعوا تحرير حمد وموسى، ومع اندلاع المعركة مع المسخ الثائر، ولم يستطيعوا تحرير أي من الأطفال المتراصين، بجوار الجدران، لصعوبة الوصول إليهم.

وكان من الواضح أن المسخ الهلامي قد أصابه الجنون، بعد أن انفتح وجهه من المنتصف، نتيجة الرصاصات التي أصابته، في منظر مروع، وهو يطلق خوار رهيب..

لقد أصابوه بأذى كبير.

وفي مشهد مخيف، انقضت الممصات، على أجساد الأطفال الثلاثة الغائبين عن الوعي، فأخذت أجساد الأطفال الثلاثة

صرخ المقدم حسان في قوة، وقال في صرامة:

- حرر الطفل، وسنغادر.

دوى الصوت في قوة:

- لا أحد سيغادر، سيكون هذا البيت مقبرتكم.. جميعكم ستموتون، كما مات طفلي، وشيدر.

صدم الصوت المقدم حسان ورجاله، ولكن ما صدمه أكثر، هو نبرة الصوت نفسها، تلك النبرة الغريبة التي تدل على أنه مسخ أنثوي برغم خشونة الصوت، بل ويتحدث باللهجة المصرية الخالصة..

كانت ملاحظة غريبة، ولم يعرف بما كانت ستفيد في هذا الموقف المعقد، وهذا جعله يصرخ:

- من أنت؟.

كان المقدم حسان يحاول أن يستهلك بعض الوقت، ليمنح رجاله فرصة ليلتقطوا انفاسهم، وهو يتابع بطرف عينيه رجاله الذين سقطوا في هجوم المسخ الأول الغادر، وقد نهضوا مجددا على أقدامهم، وهم يسحبون المصاب الذي تهشمت قدماه، بمساعدة رفاقهم إلى خارج الشقة، فأشار لهم بإشارة خفية بمعنى أن ينسحبوا، في حين دوى الصوت

قائلا:

-أنا الموت، هل تعتقد أنك ذكي أيها الشرطي، لا أحد من رجالك سيغادر حيًا، جميعا ستنالون العقاب كهذا الطفل.

وفي اللحظة التالية، انفجر جسد الطفل الثاني، وتناثرت أشلاءه ودمائه في كل مكان.

وبدون أي تنسيق مسبق، صوب الرجال أسلحتهم إلى المسخ الغاضب، وأغرقوه بالرصاصات، والمخيف أن بعض من جراحه، وإصاباته السابقة، كانت قد بدأت تلتئم ذاتيا، وتلفظ الرصاصات خارجها.

ولأن مفاجآت الليلة لم تنتهي، انفجرت قنبلة من الضياء في وجوه الجميع، وتحول المكان إلى نهار، بعد أن أضاءته مصابيح فرقة الدعم التي طلبها المقدم حسان، قبل دخوله البيت

في نفس اللحظة التي دوى فيها صوت الرائد عزيز، من اللاسلكي الذي عادت له الحياة، ربما بعد إصابة المسخ الهلامي الذي كان يعترض موجاتها بطريقة مجهولة، قائلا:

-الدعم وصل يا سيادة المقدم، نحن نحاصر البيت من كل الاتجاهات، سمعنا صوت إطلاق رصاص، سنهاجم على الفور.

كان ما حدث انقلاب عنيف في كفة المعركة، وظهر التوتر على كيان المسخ الهلامي المصاب، الذي صرخ في غضب، ورفع جسد الطفل الأخير المنتفخ إلى أعلى، وسحق رأسه على الأرضية الصلبة، في مشهد دموي مروع.

في نفس الوقت الذي شع المكان كله بضوء أزرق ثقيل، أقوى عدة مرات من ضوء فرقة الدعم، ثم دوى في المكان أزيز عنيف، واختفى على أثره المسخ الغاضب دون أن يترك خلفه أدنى أثر..

فانتزع المقدم حسان جهاز اللاسلكي الخاص به، وقال في انفعال:

- أرسلوا إلينا جميع الطواقم الطبية المتوفرة على الفور، هناك العديد من الجرحى والمصابين، واطلبوا لي رجال المعمل الجنائي والطب الشرعي على وجه السرعة.

وبرغم كل ما يحيط به من دماء وأشلاء وقتلى، تعلق بصره بذلك الممص المتألق الذي انفصل عن المسخ الهارب بعد أن أمطره الرجال بالرصاص، وسقط أرضا.

وما أن دخلت قوات الدعم إلى المكان، الذي أصبح أشبه بساحة معركة دموية، حتى أرخى ذراعه، وأعاد مسدسه لجرابه، وأخذ يفكر في كل ما حدث، وبكل ذهول الدنيا

حدث نفسه:

- شبح منزل الدرديري أنثى هلامية ماصة لأحشاء البشر.. أنثى فقدت ابنها، وشيء أخر يدعى شيدر، ربما هو الحيوان الذي تفترش جثته الممر أمام باب شقة الطابق الأول، وهي تتحدث باللهجة المصرية الخالصة، فأي جنون يحيط بهذا البيت، ومن بدأ هذه اللعنة المشؤومة.

ثم احتل كيانه كله صورة زينب..

وكان ما نوى عليه خطيرا جدا..

حكاية الجنون

بعد مضي ثلاث ساعات على تلك المعركة الدموية، جلست زينب في مكتب المقدم حسان وهي تترنح، وقد بدت في حالة مزرية من التعب، والإرهاق والضغط النفسي، وقلة النوم، بعد أن استطاعت بصعوبة، احتواء ثورته، واتهاماته الصريحة لها ولرفاقها، بأنهم المسؤولين عن كل ما حدث.

كانت قد عرجت على المستشفى العام الموجود عند مدخل المدينة بصحبة المقدم حسان، لتطمئن على موسى والسيدة روحية ورأفت، واطمأنت في نفس الوقت على رجال المقدم حسان الذين تراوحت إصاباتهم بين الكسور وحروق من الدرجة الأولى وسحجات وكدمات ورضوض، دون وقوع أي وفيات بينهم..

كانت الوحيدة التي نجت من مذبحة اليوم دون إصابات، لو كان الضرر النفسي لا يتم احتسابه.

وبالفعل سيطرت عليها دوامة من الأفكار السوداء والاكتئاب، وقطعت معظم وقتها في ذهول من تسارع الأحداث، وكيف تطور الأمر ليصبح بهذا الشكل العنيف، ليسقط كل هؤلاء الضحايا خلال يوم واحد، إنهم لم يقابلوا روحا بمثل هذا العنف.

فالسيدة روحية مازالت فاقدة الوعي..

ورأفت مصاب في ساقه، هذا غير عدة كدمات ورضوض في أنحاء عديدة من جسده..

وموسى مصاب بحروق في أماكن الممصات، ويعاني من فقر دم شديد، بعد أن مصت الممصات معظم ما في جسده من دماء، ولولا جهود المقدم حسان، لربما لم يتمكنوا من إنقاذه..

هذا بالطبع غير رجال الشرطة، ونفسيتها المتدهورة، وحسنين ابن خالتها، الذي يقود سيارته قاطعا الطريق إليها، بعد أن أبلغه المقدم حسان بملخص ما حدث.

إنها تخشى مواجهة حسنين في هذا الوقت بالذات أكثر من أي شيء في الحياة، فقد أحرجته أمام زميل دراسته، وعرضت نفسها، ورفاقها، ورجال الشرطة أنفسهم لكل الكوارث التي حدثت الليلة، وهو لن يتورع عن ابتزازها بكل هذا.

قطع أفكارها دخول الساعي ببعض الشطائر على طاولة معدنية، وخروجه ليعود ببعض المشروبات الباردة، وبعد أن غادر وأغلق الباب خلفه، حثها المقدم حسان على تناول بعض الشطائر..

والحقيقة أنها كانت جائعة بشكل خرافي، لذا فإنها بعد أن اعتذرت له عن تناول الطعام، وبعد ضغط بسيط منه، انقضت على الشطائر والتهمتها في ثوان معدودة قبل أن تتبعها بعلبة مشروب غازي خالي من السكر.. لترفع رأسها بعد أن أسكتت عواء معدتها، لتجد المقدم حسان ينظر نحوها مبتسما، وقد زال عن وجهه كل تجهم وغضب الساعات الماضية، ليتضرج وجهها بحمرة الخجل، وتقول في توتر:

- هل هناك ما يسوء في مظهري؟.

تراجع بظهره على مقعده الدوار، وهو يشعل إحدى سجائره نفاذة الرائحة، ويأخذ منها نفسا عميقا ويطلقه في الهواء، قبل أن يقول:

- بالطبع لا، ولكني تذكرت مع رفضك للطعام، ثم التهامه كمن في مجاعة، ما أخبرني به حسنين عنك، بكم أنت عنيدة.

عاد وجهها يكتسى بحمرة الخجل وهي تقول:

- ليس مجرد عناد يا سيادة المقدم، بل محافظة على الحقوق، لأني لا أفرط في أداء واجباتي أو أتهاون فيها.

نفث دخان سيجارته، ثم قال:

- وجهة نظر تحترم، والآن عليك أن تخبريني، بكل ما

تعرفينه عن بيت الدرديري، وما قادكم إليه؟.

نظرت نحوه في دهشة، ثم أجابت على الفور:

- لا أعلم أي شيء عن بيت الدرديري.

نظر نحوها باستنكار شديد، ثم سألها:

- إذن من يعلم من رفاقك؟.

هزت كتفيها، وقالت:

- لا أحد منهم يعلم أي شيء عن هذا البيت أو ما يدور تحت سقفه، لقد تعثرنا في هذا البيت المشؤوم عند قدومنا إلى مدينتكم، ولم نتوقع كل ما حدث هناك، فهل يمكن أن تقص علي ما فاتني؟.

أطفأ سيجارته بعصبية، وقال في غضب:

- كفي عن مراوغاتك السخيفة هذه يا زينب، الأمر لم يعد مجرد مغامرة حمقاء في بيت مسكون، هناك قتلى وجرحى، وبعضهم من رجال الشرطة، وكل هذا سيحتاج إلى تفسير قانوني.

نظرت نحوه بذهول وقالت:

- حتى لو حكيت لك القصة من بدايتها، فلن يمكنك تقديمها

لوزارتك كتفسير قانوني، إنها تتخطى كل هذا بمراحل.

قال في نفاذ صبر:

- أخبريني بكل شيء، ودعي الحكم لي..

وخلال الدقائق التالية أخبرته بكل شيء عن جلسة تحضير الأرواح، والشيخ كرم ومساعده، وأرواح القتلة المتسلسلين، والبوابة، والعهد الذي قطعوه، وبأعين مندهشة قال:

- هل تعنين أن المسخ الذي واجهناه في بيت الدرديري، لم يكن نفس الشبح الذي كان يعيث فسادا في البيت خلال الخمس سنوات الماضية، بل هو مسخ أخر قادم من تلك البوابة، التي تسببتم في فتحها؟.

أجابته بسرعة:

- أنا لا أعرف ماذا واجهتم هناك، أخبرني كل شيء بالتفصيل، وسأحاول أن أجيب على سؤالك من واقع خبرتي بالأمر.

تنهد في عمق، ثم رمقها مفكرا لفترة من الزمن، قبل أن يقول في ضيق:

- ليكن.

لم يكن يرغب في الضغط عليها كمجاملة لصديقه

بالداخلية حسنين، فقرر أن يسير معها في الدرب الذي اختارته، وبناءا على طلبها بدأ يخبرها عن الحريق الذي كان سببا بمعرفته ببيت الدرديري، قائلا:

-عندما أطفأ رجال الحماية المدنية الحريق الذي اقتصر على شقة الدور الأرضي في ذلك البيت الموبوء، وكإجراء احترازي تم فحص الطابقين الأول الثاني، فعثروا في الطابق الثاني على الجثث المتيبسة، وابلغتنا بها غرفة العمليات، فجمعت قوة من القسم، وتوجهنا إلى هناك على الفور، ورأينا المشهد المفجع!

أسرة كاملة موتى، وجثثهم المتيبسة، مع حيواناتهم الأليفة مرصوصة بشكل دقيق بجوار الجدران، وعلى الأرض خُطت نجمة خماسية مقلوبة بطبشور بدائي، وامتلأت بالكتابات الغريبة والتعاويذ..

وكان هناك أيضا بقايا مبخرة عفا عليها الزمن، والغريب أن الفئران والهوام لم تقترب من الجثث فبقيت على حالاتها، والطب الشرعي أثبت فيما بعد، أنه تم حقنها بمواد كيماوية مجهولة، وأن الأحشاء تم انتزاعها في وقت سابق، ولم يعرف أحد أين ذهبت، فلم يسفر البحث عن شيء.

قالها ثم صمت، فرمقته بدهشة، وقالت:

- لا أعتقد أن الحكاية توقفت عند هذا الحد يا سيادة المقدم.

أشعل سيجارته المائة لهذا اليوم، وقال مؤمنا على كلامها:

- بالطبع لا، فبعد أن انتهى رجال المعمل الجنائي من إزالة الجثث.. تطوع البعض لإزالة النجمة الخماسية المقلوبة، والتعاويذ النجسة، لإنهاء هذا الدنس، عندما تحول المكان لجحيم عاصف..

فما أن شرع أول رجل بمحاولة محو التعاويذ، حتى هبت من كل مكان رياح سوداء عاصفة، أطاحت بكل من في البيت، لدرجة أن أمين ورائد شرطة أصيبا بارتجاج شديد بالمخ، وأغلقت علينا جميع أبواب البيت، واضطرت الحماية المدنية لإخراجنا من الشرفات بعد تحطيمها، وجميعنا شاهدنا ذلك الظل المخيف الذي كان يتحرك عبر الجدران كالمجنون من مكان لمكان.

شهقت زينب وقالت بذهول:

- كانت تجربة مروعة بالفعل، فماذا عن قصة الجنون؟.

رمقها بنظرة ثقيلة، وبدا وكأنه يرغب في قول شيء سيثير ضيقها، ثم تراجع في أخر لحظة وقال:

-وكأنني أنا الموعود بكل ما يخص هذا البيت المدنس، اصطحبت قوة ضخمة من رجال الشرطة تحسبا لأي كارثة قد تواجهنا في هذا البيت الذي لا يخلوا من أحداث فوق الطبيعية، وذهبنا إلى البيت كالعادة في المساء.. كانت المنطقة حول البيت خالية، وكأن أهلها هجروها فجأة، والبوابة مغلقة بنفس القفل الذي أغلقناه بها، وعندما تساءلت عن كيف صعدوا إلى أعلى للشاهد الوحيد الذي كان يقف أسفل البيت، والذي تبرع من نفسه بإبلاغ الشرطة، والذي اختفى فور وصولنا إلى البيت، لم أجد إجابة.. فأمرت الرجال بالبحث عن المكان الذي صعدوا منه إلى أعلى المبنى، وبفحص البوابة، والنوافذ، وجدت جميعها مغلقة، وجميع الجدران سليمة، فإما أنهم استخدموا نفقا تحت الأرض، أو استطاعا الطيران لأعلى، وكل هذا تفكير منافي للمنطق دون شك؟

حطمنا قفل البوابة، وقمنا بعمل بعض الاحتياطات والاحترازات البدائية؛ كملائة تم فردها على المكان المتوقع هبوطهم فيه، وأسفلها مرتبة من الاسفنج المضغوط، وأمسك بها بعض رجالنا..

وبعدها قررنا الصعود، أنا وما تبقى من القوة التي كانت معي الى سطح البيت، لمحاولة اثناءهم عن فعلتهم

-وكأنني أنا الموعود بكل ما يخص هذا البيت المدنس، اصطحبت قوة ضخمة من رجال الشرطة تحسبا لأي كارثة قد تواجهنا في هذا البيت الذي لا يخلوا من أحداث فوق الطبيعية، وذهبنا إلى البيت كالعادة في المساء.. كانت المنطقة حول البيت خالية، وكأن أهلها هجروها فجأة، والبوابة مغلقة بنفس القفل الذي أغلقناه بها، وعندما تساءلت عن كيف صعدوا إلى أعلى للشاهد الوحيد الذي كان يقف أسفل البيت، والذي تبرع من نفسه بإبلاغ الشرطة، والذي اختفى فور وصولنا إلى البيت، لم أجد إجابة.. فأمرت الرجال بالبحث عن المكان الذي صعدوا منه إلى أعلى المبنى، وبفحص البوابة، والنوافذ، وجدت جميعها مغلقة، وجميع الجدران سليمة، فإما أنهم استخدموا نفقا تحت الأرض، أو استطاعا الطيران لأعلى، وكل هذا تفكير منافي للمنطق دون شك؟

حطمنا قفل البوابة، وقمنا بعمل بعض الاحتياطات والاحترازات البدائية؛ كملائة تم فردها على المكان المتوقع هبوطهم فيه، وأسفلها مرتبة من الاسفنج المضغوط، وأمسك بها بعض رجالنا..

وبعدها قررنا الصعود، أنا وما تبقى من القوة التي كانت معي الى سطح البيت، لمحاولة اثناءهم عن فعلتهم

المحرمة..

كان العدد هذه المرة ضخم بالفعل، وفي كل دور كنت أترك اثنان من الرجال، لتأمينه.. من ماذا؟! لا أعرف!

على كل حال كانت تجربة مخيفة، فالظل المرعب عابر الجدران ظهر للجميع، والبيت أثر على عقول الكثيرين ممن دخلوه، فأصيب البعض بجنون لحظي لدرجة أنهم هاجموا رفاقهم في نهاية الأمر..

وبعد محاورات كثيرة، ووقت مهدر بلا طائل تسلل بعض الرجال، وطوقوا العجوزان، وأنزلناهم، وسط الجحيم الدائر بالقوة..

ولن أخفي عليك القول أن البوابة أغلقت وراءنا من تلقاء نفسها، وسمعنا جميعا صوت خوار مرتفع رج المكان قبل أن نغادر، ثم سمعنا صوت هسيس مرتفع، وكأن البيت نفسه يتنفس.

والشيء الوحيد الحسن الذي حدث، هو عودة كل الرجال لعقلهم فور أن ابتعدنا عن البيت المسكون..

بعدها قمت بتحقيق سريع مع الزوجان العجوزان اللذان كانا في أرزل العمر، وكانت اعترافاتهم هي الجنون بعينه و...

وهنا قاطعته زينب متسائلة:

- لماذا تقول أن حديثهم هو الجنون بعينه، برغم أنك رأيت الظل عابر الجدران بعينك، ورأيت الجثث المتيبسة، وأصيب رجالك بجنون مؤقت وقتها.

مد أصابعه أمامه، وعاد بظهره للوراء قبل أن يعتدل، ويقول:

- موضوع الظل يمكن أن نحيله إلى الجن، وأنه من عمار البيت، وربما هو من عبث بعقول رجالي، ولكن أن يقولا أنهم كانوا يعملان على تعويذة سحرية، تعمل على نقل أرواحهم إلى أجساد شابة، ثم اختطفهم الجن إلى عالمهم، ولم يتركوهم إلا بعد أن قدموا أبنائهم كقرابين ليتحرروا من هذا المصير الأسود..

ولما تحرروا وعادوا لعالمنا، لم يستطيعوا تحمل الحياة بدونهم فقرروا الانتحار من نفس المكان الذي أعادهم إليه الجن، وأنهم كلما حاولوا القفز، منعهم الخادم الذي كان يقف أسفل البيت، وأنهم هم من ضحوا بالأسرة منذ خمس سنوات لهذا الغرض.

- قاطعته في ذهول:

- وأين كانوا طوال الخمس سنوات؟.

أجاب على الفور:

-عندما طرحت عليهم السؤال، أجابوا بأنهم كانوا في سجن الجن.

تساءلت زينب في اهتمام:

-ولماذا؟.

أجاب ببساطة:

-لأنهم خرقوا معاهدة سحرية، وبعض قوانين الجن بفعلتهم هذه، فليس كل السحر مسموح لبني أدم.

وعندما قفز لرأسها السؤال الجديد، سألته على الفور قائلة:

-وأين هم الآن؟.

أجاب:

- في طنطا.

شهقت في قوة، وقالت غير مصدقة:

-أما زالوا على قيد الحياة؟.

قال بعدم يقين:

- أعتقد ذلك، فقد أحلتهم إلى مستشفى الامراض النفسية

والعصبية، ومن وقتها وهم هناك، ولم يصلنا بشأنهم أي خبر، وهذه نهاية القصة.

وهنا قالت زينب في حماس:

- الحقيقة أنني توصلت بعقلي لتفسير منطقي، ممكن أن يجمع القصتين معا.

رد عليها بهدوء قائلا:

- أنا منصت لك.

فقالت بحماس:

- لو نظرنا لما حدث كله بنظرة أشمل، فسنجد أننا كنا نطارد روح قاتل متسلسل خرجت من البوابة، هذه الروح لأول مرة في التاريخ، تحاول جاهدة أن تستعيد جسدها بتلك الطريقة الدموية التي حاولت بها، وبوسيلة ما توصلت إلى هذا البيت المفعم بالطاقة النفسية والروحية والسحر الأسود، وبناء عليه اختطفت أو استحوذت على عقول أطفال الملجأ، وقادتهم إلى البيت من أجل اتمام الطقوس..

وهي التي نصبت فخ واجتذبتنا إلى البيت الملعون، ربما لأنه كان في خطتها أن نكون نحن القرابين، ولما هاجمتموها اضطرت لاستبدالنا بالأطفال، لأنها كما أخبرتني السيدة

روحية بعد تواصلها العقلي معها، أنها تكرهنا بشكل شخصي عنيف، ومن معلوماتك فهي أنثى، وبطريقة ما تسببنا في مقتل طفلها، وتسببتم أنتم في مصرع حيوانها الاليف.

رمقها بنظرة طويلة، وهو يقول:

- هل معنى هذا أن تلك العجوز محطمة الرأس تمتلك قدرات خارقة؟.

هزت رأسها موافقة، فصاح بانفعال:

- هل هي ممسوسة، أم عليها جن؟.

ابتسمت وقالت:

- الأمر مختلف تماما عن تصورك، هي ليست ممسوسة أو عليها جن، بل لديها قدرة عقلية وروحية متفوقة لا أكثر، تمكنها من رصد العابرين من البوابة، والتواصل الجزئي معهم، فقط تلك الروح كانت سيطرتها وتواصلها كبيران بشكل غير مفهوم، يمكن أن تقول أنها هبة من الخالق.

هز رأسه بغير اقتناع، وقال:

- إذا فالسيدة روحية قد يكون لديها معلومات ليست لدى أحد أخر، ولابد أن نقوم باستجوابها فور استفاقتها من الغيبوبة و.....

وهنا دق هاتفه المكتبي، فرفع السماعة، وأخذ ينصت للمتحدث لفترة، ثم قال باهتمام:

- سنأتي على الفور، حاولوا تهدئتها، ولكن لا تفقدوها الوعي.

نظرت نحوه زينت متسائلة، فقال:

- لقد استفاقت السيدة روحية من الغيبوبة، بل وكل رفاقك في آن واحد، لقد حان الوقت لاستجواب موسع.

ولا تعرف زينب لماذا انقبض قلبها بهذه القوة؟!

ما بعد الجنون

طوال الطريق لم ينبس أحدهم ببنت شفه، وكل منهم يدير في رأسه ما حصل عليه من معلومات..

المقدم حسان صامت ولم يشعل سيجارته النفاذة كعادته، وتعلقت عيناه بالطريق الذي خلا إلى حد كبير من المارة والسيارات في مثل هذا الوقت المتأخر من الليل، وعلقه المنهك يفكر دون هوادة في تفاصيل ما حدث، ويجتهد لربطها بما يعرفه عن البيت المدنس، وهو يحاول بمهارة تفادي بحيرات الماء، التي مازالت السحب النازفة، تمنحها المزيد من دمائها.

وعلى الرغم من تفكيره المنظم، ومحاولة النظر للأمر بصورة محايدة، وبنظرة أشمل، ولكن عقله لم يصل لأي رابط جديد، فالوضع كله غامض ومريب، والليلة كانت جنونية ودموية بشكل لا يمكن تخيله..

بينما زينب كانت تجلس بجواره، منهكة، ومتعبة، ومتكورة على ذاتها، تعبث بها أفكارها، وهي تقاتل كي تحافظ على عينها مفتوحة دون أن تسقط في سبات عميق، وتقفز من فكرة إلى أخرى بشكل درامي، وكأنها بأعماق دوامة لا قرار لها..

إنها تعلم أنه فاتها الكثير، ولكنها لم تندم على ما فاتها للحظة واحدة!

بل هي راغبة بكل كيانها على نسيان كل ما سمعته من المقدم حسان، وما توصل إليه عقلها بخصوص هذه الروح الدموية التي تكن لهم كراهية لا مثيل لها، وتتسلى بالفتك بالأبرياء، ونزع أعضائهم الحيوية وهم أحياء، ليصيروا جزءا من كيانها الهلامي المشوه..

وبآلية دفاعية فاشلة، قفز عقلها من تلك النقطة إلى نقطة جديدة، ولكنها في نفس الوقت مرتبطة بما تحاول نسيانه، فتساءلت بينها وبين نفسها، عن حقيقة الحيوان المفترس، الذي يتحرك بصحبة تلك الروح القاتلة، والذي يهاجم البشر والحيوانات على السواء، وينتزع أعضائهم وهم أحياء؟.

إنها المرة الأولى عبر مسيرتها في تلك الدروب المظلمة التي أدمنت الخوض فيها، بحثا عن كل ما هو خارق، وغريب، التي تجابه فيها روح تمتلك كل هذه القدرات الهائلة، التي تمنحها القدرة على العبث بعقول البشر، وتسخير الحيوانات ليكونوا بمثل هذه الوحشية!.

لماذا تختلف هذه الروح عن كل ما عاصرتهم، وما قرأت عنهم من أرواح بهذا الشكل المريب؟

ثم كيف علمت تلك الروح الدموية بقصة بيت الدرديري، والقوى النفسية والروحية الساكنة بين جنباته، بل والسحر الأسود الذي انعقدت طقوسه بداخله قبل سنوات عديدة، على الرغم من المسافة الكبيرة التي تفصل بين مكان ظهورها الأول، وهذا المكان الجديد في تلك المدينة البعيدة عن القاهرة؟.

منذ البداية وكل شيء في هذه القضية غامض، ومعقد، مرتبك، ولا معلومات كافية عنه، وهذا يثير إحباطها وغضبها..

إنهم كما قال موسى يخوضون في بحر الظلمات، وهي تعلم أن السائر في بحر الظلمات إما تائه أو ضائع أو غريق..

وقد أغرقهم فضولهم في هذا العالم المظلم، وهاهم تباعا، يدفعون الثمن الباهظ، فالمواجهة مع الروح هذه المرة، لم تكن سهلة أو هينة، لقد سقط على يدها الغاشمة، قتلى ومصابين..

وجميع أصدقائها حاليا في المستشفى العام، خاضعين للعلاج لأسباب وإصابات مختلفة..

وها هي مع المقدم حسان في طريقها إلى نفس المستشفى، حيث يرقد رفاقها على فراش المرض، والمريب

أنهم جميعا من بعد الوقوع بين براثن الغيبوبة وفقدان الوعي بعد تلك المواجهة الشنيعة مع الروح الدموية، قد استيقظوا فجأة، وفي توقيت واحد أشد ريبة..

مخاوفها تتضاعف.. وقلقها يتصاعد.. ولا تعرف طريق واحد للهرب، وإنهاء هذا الكابوس المستمر، منذ جلسة تحضير الأرواح المشؤومة التي بدأت كل هذا الخراب..

لقد رأف بها القدر هذه المرة بشكل شخصي، فهي لم تصاب، أو تفقد أحد رفاقها، وظهر بجوارها ملاك حارس يتحدث بلهجة صعيدية طغى عليها لكنة أهل الشمال، وإن كانت لا تعلم لأي مدى سيعاملها المقدم حسان بمزاجه المتقلب، هي ورفاقها بهذه المعاملة الحسنة، بعد كل الكوارث التي صنعوها في محيط دائرة قسمه.

كما أن عقلها لم يتوقف عن التفكير في تلك المحادثة الهاتفية الطويلة التي دارت بين حسنين ابن خالتها، والمقدم حسان قبل مغادرتهم القسم، ولا تعرف بماذا أخبر حسان حسنين -القادم من القاهرة للفتك بها، وإخبارها كم هي حمقاء- والذي ربما لن يتورع عن تقيدها بقيود الشرطة المعدنية، حتى يعود بها إلى أهلها بفضيحة مؤكدة.

عقلها يحترق من تدافع الأفكار والسيناريوهات الكثيرة ذات النهاية المحبطة التي يرسمها دون هوادة..

ولا تعرف من أعماقها لماذا تشعر أن الأسوأ لم يحدث بعد، و..

قطع أفكارها المقدم حسان الذي بدا على صوته الخشن الانهاك، وهو يتساءل في قنوط:

- هل ستظل عروستنا في السيارة إلى الصباح؟.

انتفضت في جلستها، ثم نظرت حولها بعينين شاردتين، وكأنها فقدت الذاكرة، قبل أن تستجمع شتات نفسها وتفتح باب السيارة وتهبط منه، وتجيب بسرعة:

- أسفة يا سيادة المقدم، شردت قليلا في الوضع المعقد المحيط بنا.

أشار لها أن تتبعه وتتحرك بحذر بين الوحل ومياه الأمطار التي غطت المكان بشكل عشوائي، وهو يشعل سيجارة جديدة، ثم سار أمامها بخطوات سريعة حذرة، وأمطار خفيفة تتساقط فوق رؤوسهم بشكل مزعج، حتى دخلوا إلى استقبال المستشفى..

كان من الواضح أنه لا يرغب في الحديث لذلك تبعته في صمت، قبل أن يستفزها منظر السيجارة التي في يده، فتقول في ضيق مستتر:

- سيادة المقدم، نحن في مستشفى، والسيجارة....

التفت نحوها في برود ثم سحب من سيجارته نفس عميق، وألقاها بلا اهتمام على أرضية المستشفى النظيفة، فسحقتها هي بقدمها، ثم سارت خلفه دون أن تعلق..

توجه المقدم حسان إلى غرفة السيدة روحية التي تركها فيها منذ عدة ساعات، وهم بدخولها عندما أشارت له إحدى الممرضات، بضرورة الانتظار حتى ينتهي الأطباء من عملهم، ولكنه كعادته تجاهلها ودخل وخلفه زينب، التي فوجئت بطبيبين، وممرضة يحيطون بالسيدة روحية التي أخذت تزوم وتردد بلا انقطاع:

- لقد أغضبناها بشدة.. لقد أغضبناها.. إنها تتوعدنا جميعا بالموت.

وعلى الفور اخترقت زينب التجمع، رغم اعتراض أحد الأطباء، وقبضت على يد السيدة روحية، وأخذت تقول في حنان:

- لا تخشي شيئا يا خالة روحية.. أنا هنا .. أنا هنا.

صرخت السيدة روحية في غضب، وقالت بصوتها المتحشرج:

- لماذا أتيت أيتها الحمقاء، لماذا تهربي لماذا؟ لماذا؟ لماذا؟...

ضغطت زينب على يديها، في شفقة وقالت بصوت مختنق:

- لا تخشي شيئا يا خالة، كل شيء سيكون على ما يرام.

وبكل ثورتها صرخت السيدة روحية:

- لا شيء سيكون على ما يرام.. لا شيء.

ثم انتفض جسدها في قوة، وعادت إلى طبيعتها الواهنة، وأخذت تبكي وتنتحب، فضمتها زينب إلى صدرها وقالت في حنان:

- لا بأس يا سيدة روحية.. لابأس اهدئي الآن.

وكأن لكلماتها وضمتها مفعول السحر فهدأت السيدة روحية تماما، وأخذت أنفاسها تنتظم، مما أتاح لأحد الأطباء فحصها بهدوء، وما أن انتهى من فحصها حتى توجه بالحديث إلى المقدم حسان الذي كان من الواضح أنه يعرفه جيدا، وقال في اهتمام:

- سيادة المقدم.. لقد تعرضت تلك المسكينة لصدمة عصبية هائلة، وهي بحاجة إلى الراحة الشديدة، فلا داعي لإزعاجها الآن.

هز المقدم حسان رأسه متفهما، ثم قال بصوته الخشن:

- لا تقلق يا دكتور ظريف، بضع دقائق معها، ومع زملائها وننصرف على الفور.

ظهر الضيق على وجه الطبيب، وهو يغمغم قائلا:

- لا تجهدوها على أي حال، فهي في أمس الحاجة إلى الراحة.

قالها ثم انصرف ومعه طبيب شاب أخر، وتبعتهم الممرضة، وهي تلقي نظرة متوجسة نحو السيدة روحية، وقد وقر في أعماقها أن هذه السيدة الضريرة ليست إنسانة طبيعية بأي حال من الأحوال.

وعلى الفور سحب المقدم حسان مقعدين بلاستيكيين من الردهة، ثم وضعهم بجوار فراش السيدة روحية، وأشار لزينب أن تجلس وتستريح، فقالت السيدة روحية على الفور، بصوت مجهد مرتاب:

- هل معنا أحد رجال الشرطة في الغرفة يا زينب؟.

وقبل أن تجيب، قال المقدم حسان بسرعة:

- ألا يمكن أن تستنتجين بقدرات الخاصة؟.

استفزتها طريقته الطفولية، فقالت بصوت يحمل نبرة

ضيق:

- نحن لسنا في سيرك يا هذا، وأنا لست الساحرة، أو قارئة الغيب، و...

وقبل أن تتمادى قاطعتها زينب قائلة:

- معذرة يا مقدم حسان، معذرة يا سيدة زينب إنه لا يقصد شيء سيء، هو فقط لم يقابل من قبل من تمتلك مثل قدراتك، ولولا سيادة المقدم لربما لم يكن هناك أحد هنا ليدور هذا الحوار، لقد أنقذ حياتنا جميعا.

صمتت السيدة روحية لعدة ثوان، قبل أن تقول في وهن:

- اقبل اعتذاري يا ولدي، لقد مررنا بالكثير خلال الأسابيع المنصرمة، وخلال هذه الفترة بالتحديد، إن الوضع خطير، ولا يحتمل مشككين.

وهنا أجابها بسرعة:

- لا عليك يا سيدتي، ولكن هل لكِ أن تخبريني عن رؤيتك لهذا الوضع الخطير الذي نمر به جميعا، فمن الواضح أنكم ورطونا في وضع شديد السوء لدرجة أن سقط عدد كبير من رجال الشرطة مصابين، ومات العديد من الأبرياء، ومعظمهم أطفال أيتام لا ذنب لهم فيما يحدث، وهذا مجرد تحقيق

ودي لنعرف طبيعة ما نواجه، وأتمنى من ألا يتحول لرسمي لمصلحة الجميع.

شهقت السيدة روحية، عندما سمعت عن المصابين والضحايا، وفشلهم في نجدة الأطفال الأيتام، والذين هم السبب الرئيسي، في قدومهم إلى هذه المدينة، وخوضهم هذه المغامرة..

في حين تقلص وجه زينب من الحزن، وهي تدير حديث المقدم حسان في رأسها.. كان من الواضح مع ارهاقه، أن صبره ورصيد حسنين لديه قد بدأ ينفد، فلجأ إلى هذه اللهجة التي تنطوي على شيء من التهديد باستخدام سلطته، لذا فإن زينب اختطفت دفة الحوار وقالت في شيء من الجدية:

- كل ما أخبرك به المقدم حسان صحيح يا سيدة روحية، الوضع في ذلك البيت المشؤوم الذي قدتينا إليه كان كارثيا بمعنى الكلمة، فالبيت نفسه يحتوي على قوة نفسية عاتية، وأقيمت فيه على فترات مختلفة، طقوس سحر أسود جهنمي عظمت من هذه القوى النفسية، بعد أن تشربت أرضه وجدرانه من دماء القرابين البشرية المدنسة، التي قدمت على مذبحه، والمقدم حسان بنفسه رأى ظل هائل هناك يتحرك عبر حوائط البيت، وأصاب بعض رجاله بالجنون..

ولم يتوقف الأمر على هذا، بل إن المقدم حسان ورجاله اشتبكوا في مواجهتهم الأخيرة مع تلك الروح الدموية المتعطشة للدماء.

وهذه الروح الدموية نفسها استخدمت البيت في إقامة نفس طقوس السحر الأسود التي كانت تقام في هذا البيت في فترة من الفترات المظلمة، لنقل الأرواح من الأجساد الهرمة لمنفذيها إلى أجساد شابة تم السيطرة عليها بواسطة سحر قديم محرم، ربما سعيا نحو خلود زائف.. وقد استغلتها الروح لاستعادة كيانها الزائل، وربما لبث الروح تلك الأجزاء التي كانت تنتزعها من ضحاياها وهم أحياء.

شهقت السيدة روحية من جديد وانحبس الكلام في حلقها، فقصت عليها زينب كل ما قصه عليها المقدم حسان، وأخبرتها بقصة العجوزين اللذين اختطفهم الجن، ومن بدئا لعنة هذا البيت، ثم أضافت ما كشفت عنه الروح الدموية نفسها، وكيف أنها بسببهم فقدت طفلها، ومؤخرا حيوانها الأليف، ثم سألتها عن ما يمكن أن تضيفه لهم من معلومات، لأن كل شيء غامض حتى هذه اللحظة، وأن هذا ما جاء من أجله المقدم حسان.

تنفست السيدة روحية بقوة ثم ارتدت نظارتها الشمسية السوداء، وكأنها تستمد منها بعض الدعم النفسي، وقالت:

- كما تعرفي يا زينب فقدراتي النفسية والروحية كان لها دوما سقف أو حد تقف عنده، ولكن منذ تواصلت أو تواصلت معي هذه الروح المظلمة، وقد تضاعفت كل قدراتي بشكل غريب، لقد عاصرت معكم معظم ما قصتيه على مسامعي، حتى أنني حذرت سيادة المقدم ورجاله من خطورة البيت والروح التي أصبحت تسكنه، وتتخذه مقرنا لطقوسها الملعونة، وطالبتهم بإحراق البيت، و..

وهنا أطلق المقدم حسان شهقة وقال في ذهول:

- هو أنت إذن.

هزت رأسها مؤكدة، ثم قالت:

- تواصلي مع الروح القاتلة منحني لبعض الوقت جزءا من قدراتها، فعلمت منها أن إحراق البيت في هذا التوقيت وسيلة ناجحة للحد من قدراتها.. فمعظم قدراتها العقلية تعود إلى البيت نفسه..

وهي جيدة في استخدام القوى النفسية للمكان، وتستخدمها للسيطرة على ضحاياها، وليس هذا فقط بل هي قادرة على استدعاء ذاكرة المكان، واستخدام السحر القديم، لأنها تريد أن تطيل زمن وجودها على الأرض، فبرغم محاولاتها لصنع كيان مادي، إلا أن الوضع لن يستمر لفترة

طويلة..

إن كيانها الذي تحاول رتقه ينهار، وهي بحاجة للعودة إلى البوابة على عكس كل الأرواح الأخرى التي قابلناها، فهناك ستستطيع أن تستعيد ما فقدته بوجودها على الأرض، بشحن خلاياها المتدهورة بطاقة البوابة المجهولة.

وهنا قاطعها المقدم حسان قائلا:

- لا أفهم شيء أنت لم تضيفي جديد، بل عقدتي الأمور أكثر.

تجاهلت السيدة روحية نبرة الضيق في صوته وقالت:

- ملخص ما أخبرتك به أن الروح نفسها، لها وقت محدد على الأرض، ولو استطعنا منعها من العودة إلى البوابة، فإن كيانها سينهار وحده، لأنها ليست روح في الحقيقة، إنها شيء أخر.

تساءل بسرعة:

-ما معنى أنها شيء أخر؟.

هزت رأسها في يأس، وقالت:

- حاولت أن أفهم هذه النقطة ولم أستطع، فللأرواح خصائص محددة في الشكل والهيئة والشفافية وطرق

التواصل، ولكنها تختلف عن كل من واجهناهم من أرواح، إنها تبدو كامرأة بشرية ترغب في الثأر لمن فقدتهم، وبرغم هذا هي لا تشبه الروح أو المرأة..

كيانها الهلامي، والاجزاء البشرية التي تزرعها بداخلها، والوهج الأزرق الذي يحيط بها، وبحيوانها المفترس الذي عجزت في البداية عن معرفة كنهه، وعجزت تماما عن التواصل معه يدل على أنهما مخلوقان من عالم أخر شبيه بالبشر، وعبروا إلينا عبر البوابة.

قاطعها المقدم حسان قائلا:

- أي تخريف هذا؟.

ردت عليه في غضب:

- أنا لا أخرف يا ولدي، أنا فقط أحاول أن أتوصل لتفسير منطقي ولا أحاول إبهارك.. إن تلك الروح تمتلك كل قدرات الأرواح، ولكنها ليست روح حقيقية، كما أنها تملك حقد البشر، ولا تشبه البشر في شيء، والمخيف أنها قادمة من أجلنا.. لا أجد الرابط، ولا أعرف كيف قتلنا طفلها، ولكنها في النهاية ستطاردنا، ولن ترأف بنا.

ظهر الامتعاض على وجه المقدم حسان وهو يقول في ضيق:

- هل لديك أي معلومات أخرى أو أي شيء يمكن أن .

وهنا قاطعهم صوت موسى الذي بدا على وجهه الشحوب رغم كل ما نقل له من دماء، ولكنه في النهاية كان قادرا على السير، برغم ألم إصاباته الحارقة، وقال في وهن:

- أنا لدي معلومات أخرى، بل لدي جميع الحلقات المفقودة، التي يمكنها رتق الصدع في جدار معلوماتكم المهترئ.

نظر له المقدم حسان بتمعن ثم قال دهشة:

- أليس أنت ذلك الرجل الذي امتص المسخ دمائه، يبدو أن بنيتك القوية ساعدتك على تخطي محنة الإصابة بسرعة؟.

قامت له زينب من فوق مقعدها، وجلست على حافة السرير بجوار السيدة روحية، ليشكرها وهو يجلس على مقعدها قبل أن يقول بجدية:

- نعم هو أنا لسوء حظي وحسن حظ الجميع، لقد عبثت تلك الروح البشعة بعقلي مرات عدة، وكادت أن تجبرني على إطلاق النار على رأفت من مسدسي المرخص، بل وأخرجت أعمق مخاوفي بداخل البيت، ووضعتني على حافة الجنون، أنا أكثر شخص تعرض لغيها و...

قاطعه المقدم حسان قائلا باستنكار:

- لا تبالغ يا أخ موسى، هناك من تعذبوا وفقدوا حياتهم على يدها، ربما أنت أكثر إنسان محظوظ واجهها.

هز موسى رأسه ثم قال:

- ربما.

وبعدها عاد لحديثه قائلا:

-عندما تركت رأفت في الطابق الأول وصعدت للطباق الثاني بكل عزمي، لم تضيع الروح القذرة أي وقت قبل أن تضمني لحصيلتها من الضحايا.. ففي لحظة واحدة لمحت ذلك الذراع الأخطبوطي أمامي، وقبل أن أفكر في طريقة لمواجهته فوجئت به ينغرس بداخل جسدي كخنجر من نار لينتفض جسدي بعدها، وكأنما صعقه تيار كهربي عالي التردد، وبعدها سمعت دوي الرصاصات، ثم غبت عن الوعي للحظة، و...

قال المقدم حسان بسرعة:

-و ماذا؟

كان موسى يلهث وكأنه يعاني من اجترار هذه الذكريات السيئة، فقال بأنفاس متقطعة:

- ما أذكره أن الدنيا أظلمت من حولي للحظة واحدة فقط

أو أقل، وبعدها انفتح وعيي على عالم كامل من اللون الأزرق الباهت العجيب، فشعرت لفترة بالضياع، قبل أن تخور قواي، ليمتزج وعيي بوعي (سجيه) و..

قاطعته زينب في دهشة قائلة:

- سجيه ؟ من سجيه ؟.

أخذ صدره يعلوا ويهبط وهو يقول:

- سجيه هي ذلك المسخ الذي نقاتله جميعا، وكنا نعتقد أنه روح قاتل متسلسل خارجة من البوابة، كما اعتدنا أن نقابل.

قال المقدم حسان في دهشة:

- مسخ، وليست روح ، وسجيه، ما معنى كل هذا، لماذا تتحدث بالألغاز؟.

كان الإرهاق ظاهرا، على وجه موسى فقرر أن يختصر حديثه فقال:

- عندما انفتحت البوابة في المرة السابقة، حدثت كارثة لم ينتبه لها أي فرد منا، فالبوابة بدلا من أن تسحب روح القاتل المتسلسل السابق، وتحتجزه بداخلها كما يحدث دائما، سحبت معه سيدة شابة حبلى، ومعها كلبها الأليف، الذي تحول لذلك المفترس الذي حيرنا منذ البداية.

شهقوا جميعا، وصرخت زينب من المفاجأة قائلة:

- ماذا؟.

في حين قالت السيدة روحية في ذهول:

- يا إلهي.. هذه المرة نحن الجناة.. نحن من صنعنا القاتل المتسلسل الذي نطارده.

بينما زم المقدم حسان شفتيه في قوة، وهو يتابع حديث موسى المخيف، وهو يقول:

- البوابة كيان غامض، ولم يكن أحد منا يعرف ماذا سيحدث لو ابتلعت كائن حي وليس روح غادرتها، وكل ما كنا نتوقعه أن تسحقه طاقتها المجهولة، ويموت على الفور، لذلك كنا حذرين في التعامل معها..

ولكن ما حدث مع سجيه، والتي ولابد أن لها محضر تغيب مع طفلها وحيوانها الأليف في مكان ما.. أن بدلت الطاقة من تكوينها، وأثرت على خلاياها بهذا الشكل المروع فصارت هي هذا الكيان الهلامي المشوه الذي يطاردنا، والذي يصبوا للانتقام، بعد أن سُحق طفلها مع رحمها وأجهزتها الداخلية، وتحولت لشكل أخر من الوجود عندما عبرت البوابة بشكل عكسي.

وبالطبع ما أصابها، أصاب كلبها الأليف، الذي توحش من بعد ما تحول هو الأخر لكائن شبحي هلامي كما حدث لربيبته.

شعرت السيدة روحية بضيق تنفس من هول ما تسمع، وقالت بهلع:

- تجربة رهيبة لا أتمناها حتى لأعدائي.

هز موسى رأسه موافقا على حديثها، وأضاف:

- ولسبب مجهول لفظتهم البوابة بعد فترة من العذاب والألم المتواصل، وأعادتهم إلى الأرض، ككتلتين من طاقة رهيبة أقرب إلى البلازما..

وبعد أن استقرت خلاياها المشحونة بتلك الطاقة الرهيبة، وأصبحت قادرة على التحكم في كيانها الجديد، وبعد أن فقدت طفلها ورحمها، وكل ما يمت لشخصيتها البشرية بصلة.. بدأت في تنفيذ أول جرائمها الوحشية.

ولا أعرف كيف أدركت بعدها، أنها لديها القدرة على تعويض المفقود من جسدها السابق، ببدائل من أعضاء ضحاياها من البشر، والتي ويا للعجب أصبحت ككلبها المفترس تتغذى على لحومهم أيضا.

وهنا كان المقدم حسان قد تملك منه الارهاق، ولكنه أراد أن يعرف الرابطة بينهم وبين الروح فسأل:

- وكيف توصلت سجيه لكونكم المسؤولين عن مقتل طفلها؟.

قال موسى بصوت واهن مضطرب:

- سجية بعد أن لفظتها البوابة وأعادتها إلى الأرض، لم تعد بشخصيتها السابقة، بل صارت أكثر همجية ووحشية وجموحا وافتراسا، وأخذت تتنقل عبر البلاد حتى استقرت خلاياها بشكل محدود، قبل أن تنقلب عليها، في مراحلها الأولى من عدم الاتزان، ووقتها حدث تواصل محدود بينها وبين السيدة روحية، أصاب السيدة روحية وقتها ببعض القلق والتشوش، ولكن لأنه لم يتكرر، فقد تجاهلته السيدة روحية واعتبرته مجرد عرض لقدرتها المتفوقة واعتبرناه نحن انذار كاذب.

قالها ثم صمت قليلا ليسترد أنفاسه، فاحترم الجميع صمته، فعاد يستطرد في وهن:

- وبهذا الاتصال المحدود ضيقت سجيه المنكوبة في طفلها ونفسها، والتي تحركها مشاعر وحشية بدائية طاغية، دائرة بحثها عمن تسبب لها فيما وصلت إليه، وأخذت لوقت طويل

تنتظر اتصال أخر، وسعت هي إليه، وأثناء سعيها جذبتها طاقة البيت المشؤوم، وتضاعفت قواها ولكن على حساب استقرار خلاياها، ولكنها لم تبالي بهذا الأثر الجانبي، فقد كانت تنهشها فكرة الانتقام.

عاد موسى يلهث مجددا، قبل أن يقول:

- تواجدها في البيت مع تضاعف قواها، جعلها قادرة على استدعاء ذاكرة المكان، وبدأت تعلم ما مر به، وسبب اكتسابه لتلك الطاقات النفسية العنيفة، بل ورصدت الخادم المكلف بحراسته، وكان كل ما همها هو تلك الطقوس التي تمت بداخل البيت، والتي عن طريقها يمكن لأي بشري الاستحواذ على جسد بشري أخر، ليستكمل حياته في جسد شاب موفور الصحة.

ولأنها ليست بشرية، لم يتفعل السحر بشكل كامل معها، فقط وجدت نفسها قادرة على تأخير تدهور خلاياها المشحونة بطاقة البوابة، باستنزاف الطاقة الحيوية من أجساد ضحاياها حتى تحولهم لرماد، وهي طريقة شديدة البشاعة، ولكنها قررت أن تستخدمها حتى تحقق انتقامها، ولم يكن أطفال الملجأ أول الضحايا، بل كان هناك العشرات ممن سبقوهم، وكل الرماد الموجود في المكان، هم ضحايا سابقون.

شهق المقدم حسان، وقال بصوته الخشن:

- يا الله.

في حين تجاهل موسى المتعب تعليقه، وأكمل:

-في إحدى فترات ضعف سجيه، سيطر البيت عليها لفترة من الزمن، ولكنها قاومته، وتمكنت من الانقلاب عليه وترويض كل طاقاته، وأصبح البيت فخ مميت سقطنا فيه جميعا..

إن كتلة الشر هذه فقدت كل ما يمت لإنسانيتها بصلة، وما تبقى منها هو فكرة الانتقام، وبعدها قد تستمر في استبدال أعضائها، وفي امتصاص حيوية ضحاياها، وربما إلى الأبد..

والرابط الوحيد بين ضحاياها، لو راجعها الطب الشرعي سيجد أنهم جميعا ينتمون لفصيلة الدم (A-) شديدة الندرة، إنها تنجذب إليها كما تنجذب برادة الحديد إلى المغناطيس..

وربما هي فصيلة دم سجيه قبل تحولها، وللعلم فسيدة الأعمال التي مزقتها سجيه هي وحيوانها الأليف، واستولت على رحمها، كانت زوجة أبيها، وكانت تكرهها بشكل أسطوري، وربما لهذا تتبعتها، وفتكت بها.

عاد موسى لتنفسه اللاهث ثم قال:

- وما أراه هو أن هذه الممسوخة البغيضة ستتبعنا نحن أيضا حتى تفتك بنا، وبعدها سيبتلي بها كل إنسان يحمل تلك الفصيلة النادرة على وجه الأرض.. ولأن قدراتها الخارقة هذه هي مزيج من السحر وطاقة البوابة المجهولة، فعلينا أن نلجأ لمتخصص في مثل هذه الأمور لنجدتنا، ومساعدتنا في مواجهتها، وعلينا أن نحرق البيت ونساويه بالأرض لتضعف قوتها، ولا أعرف كيف يمكن أن يتم ذلك؟!.

وفي نفس اللحظة دوى صوت هاتف المقدم حسان معلنا وصول عدة رسائل على الواتس أب، ولما فتحها وجدها تقرير الطب الشرعي العاجل الذي طلبه بصفة ودية من صديقه في إدارة الطب الشرعي، الدكتور مغازي عبد الحي، وعندما، قرأ التقرير المرفق، رفع رأسه ووجه حديثه إلى موسى قائلا:

-الدكتور مغازي مسئول الطب الشرعي لمنطقتنا مذهول بالفعل من العينة التي أرسلتها له، وهي لمن لا يعرف منكم جزء من أحد أذرع ذلك المسخ الهلامي الدموي، وقد تم الأمر بشكل ودي بحت، هو نفسه لن يجرؤ بعد ما توصل إليه على إدراجه في تقرير رسمي.. والتقرير الودي يخبرني بصدق قصتك يا موسى، فهو يوضح أن الذراع الأخطبوطي مكون من نسيج وخلايا بشرية مشوهة، فقدت الكثير من

صفاتها وخصائصها البشرية، لدرجة أنها أصبحت قادرة على الاحتفاظ بالطاقة بداخلها، وكأنها بطارية حيوية، بطريقة أشبه بالمخلوقات البحرية التي تعيش في أعماق المحيط والتي تضيء إضاءة ذاتية، وهذه الخلايا والأنسجة متضررة بشدة وتتحلل باستمرار نظرا لكم الطاقة التي اجبرت على الاحتفاظ به سابقا.

ويقول أنه لو تم اكتشاف نوع الطاقة الذي يشحن هذه الخلايا المتحورة، فإنها ستكون نقلة هائلة في مجالات الطاقة، والتسليح، وربما استطاع العلماء بواسطته خلق الكائن السوبر..

وما أوقف تجاربه أن تلك الخلايا فقدت ما شحنت به من طاقة عبر البوابة، وتحولت إلى رماد، فلم يستطع الدكتور مغازي بما لديه من امكانيات محدودة أن يكتشف أكثر من هذا..

ومن كل هذا نستنتج أن المسخ ولُد ومعه شهادة وفاته، فقط لو استطعنا منعه من الوصول إلى البوابة، وعدم حصوله على الطاقة الحيوية البديلة من أجساد ضحاياه كما أخبرتني يا موسى، فربما استطعنا القضاء عليه.

وهنا قالت زينب في اهتمام:

- لقد تجمعت لدينا قطع البازل كلها دفعة واحدة، وبرغم كل ما جمعناه من معلومات، أشعر أننا لم نملك الكثير منها، هناك قطعة بازل أخيرة علينا وضعها لتكتمل الصورة، ولذلك علينا أن نزور مستشفى الأمراض النفسية والعصبية.

وهنا دوى الصوت الذي لم تتوقع سماعه في هذه اللحظة، صوت ابن خالتها حسنين وهو يقول بغضب:

- نعم، وعليهم حجزكم هناك.

وعندما رأت زينب وجهه، بعد أن سمعت صوته، صرخت بأعلى صوتها.

اجتماع حرب

لم تشعر زينب بالرعب والصدمة في حياتها، كما شعرت في هذه اللحظة، لدرجة أنها أحست بالدم يصعد إلى رأسها، وبأنفاسها تنقطع، ثم غامت الدنيا أمام عينها..

فحسنين بسخافته المعتادة، كان يرتدي قناع بلاستيكي مخيف لمجرد أن يخبرها بشكل عملي، أن كل ما تقاسيه مجرد هراء.. وعلى أثر هذه الفعلة السخيفة، فقدت وعيها..

وما أن أدرك حسنين بأنها لا تمثل فقدان الوعي حتى نزع القناع، ونسى الغضب الذي كان يستعر في رأسه طوال ساعتين ونصف، قضاهما في القيادة في أسوأ توقيت ممكن وسط الأمطار ورعونة السائقين، وحل محله ذعر وقلق شديدان، وهو ينظر إلى حبيبته زينب التي تهاوت على قدمي السيدة روحية، والتي تلقفتها في هلع، وهي تربت على وجنتيها، بحركاتها العاجزة..

وبسرعة اندفع نحوها، وهو يحمل جسدها النحيل بين يديه في رفق شديد، ليريحه بجوار السيدة روحيه، قبل أن ينادي المقدم حسان على الممرضة لتحضر الطبيب.

ومرت الدقائق التالية سريعا، ولم يقطع السيرك الدائر في غرفة العناية المركزة، غير حضور رأفت المتأخر..

لم ينم أحد في تلك الليلة..

ولا يبدو أن أحد سينام..

بعد أن انتهى الموقف، واستفاقت زينب، لعن المقدم حسان أفعال حسنين، ومقالبه السخيفة التي لم يتوقف عن ممارستها برغم سماجتها، وبرغم حساسية عمله في وزارة الداخلية، واعتذر لها حسنين وهو يضحك بنفس السماجة على دعابته السخيفة، وخرج بها إلى خارج غرفة السيدة روحية، وانتحى بها ركنا قصيا، وبدأت سلسلة طويلة من العتاب، وأخذا يتحدثان، وكان من الواضح أن زينب تضغط على أعصابها، كي لا تنقض على عنقه، وتعتصرها بين يديها حتى تخرج روحه.

في حين دخل رأفت على مقعد متحرك، إلى حيث يوجد موسى، والسيدة روحية، والمقدم حسان، ووجهه ممتقع وكأنه يعاني من شيء غير ظاهر أو أن شيء يقلقه بشدة، وما أن رأى الجمع الملتف حول سرير السيدة روحية حتى قال:

- كيف حالكم جميعا؟.

رمقه موسى للحظات ثم تجاهل سؤاله وقال في شك:

- ماذا بك؟.. وكأنك رأيت شبح منذ لحظات.

زفر رأفت بقوة، ثم قبضت يده اليمنى على طرف المقعد المتحرك المعدني، وقال بتوتر:

- بل كان معي المفترس، لمدة ساعة كاملة.

اتسعت عينا موسى في دهشة، في حين توتر المقدم حسان في مكانه، وشهقت السيدة روحية في قوة، وظهر على وجهها ملامح ذعر عظيم، وهي تقول في توتر:

- المفترس معك لمدة ساعة، ما معنى هذا؟.

جال رأفت ببصرة في الغرفة منخفضة الإضاءة ثم قال:

- سأقص عليكم الأمر من البداية لتفهموا ما أعنيه.

رد موسى بسرعة:

- ألا يمكنك إكمال جملة واحدة بدون مقدمات، إننا جميعا في أسوأ حال ممكن، والمقدم حسان لم يسترح أو يرى أسرته منذ الأمس، والسيدة روحية في حاجة ماسة للراحة، فتجاوز هذه المرة عن طريقتك المستفزة وأدخل في صلب الموضوع مباشرة.

بهت رأفت من طريقة حديث موسى، فقال مدافعا:

- أنا أيضا مرهق مثلكم وربما أكثر، ولكن لتفهموا علي أن

أقص القصة من البداية و....

وهنا أشار المقدم حسان لموسى الذي كان متحفزا للرد، ثم قال:

- لا بأس سننصت لقصتك، ولكن حاول أن توجزها قليلا.

هز رأسه، ثم بدأ يحكي قائلا:

- عندما تركني موسى في الطابق الأول، بعد أن سيطرت الروح الدموية على عقله للمرة الثانية، وبعد أن اختفت الدمية العجيبة التي رأيناها وأثارت مخاوف موسى الطفولية، وجدت نفسي وحيدا في مواجهة الظلام والبرد والخوف، وقبل أن أفكر في الخطوة التالية، وجدت المفترس أمامي، وكأنه كان مختفي عن الأنظار، وينتظر فرصة وجودي وحدي.

قال المقدم حسان في لهفة:

- هل تعني المسخ الملعون الذي تطلقون عليه الروح القاتلة؟.

هز رأفت رأسه نافيا ثم قال:

- بل الروح الثانية التي تصحبها، الكلب المتوحش نصف الهلامي، ظهر أمامي متوهجا بذلك الضوء الأزرق الباهت

العجيب، ومعظم أعضائه الأمامية موجودة لكنها منفصلة..

لك أن تتخيل كلب تم تقطيعه ثم جمعه بواسطة تلك المادة الهلامية الباهتة، وهذا جعلني أفهم على الفور أن هذا الكلب المتربص بي، يمارس نفس ما تقوم به الروح القاتلة، بجمع أعضائه من حيوانات مفترسة أخرى، وهذا هو سبب وجود أشلاء الحيوانات في مسرح الجرائم..

كان الكلب يقف أمامي كأكثر شيء مرعب رأيته في حياتي، وأنا عندي فوبيا محدودة من الحيوانات، ومن الكلاب خاصة، ووصلت هذه الفوبيا لحظتها إلى أعتى درجة.. فالكلب كان متحفزا، وفي عينيه كل شر الدنيا، وكأنه كلب الجحيم الشهير في الأساطير العالمية..

ولا يخفى على أحد ما كان ينوي فعله معي، ولأن عقلي توقف عن التفكير، فقد تعاملت بتلقائية فرضها لموقف، وقمت باستخدام مسدس موسى المرخص وأطلقت رصاصة واحدة على رأس الكلب القريبة.

لم أكن أعرف جدوى الرصاصة، أو إن كان المسدس مصدر حماية بالفعل، ولم أستطع حساب احتمالات النجاة والموت وقتها، ولكنني ما أن رأيته يندفع نحوي ومن شدقيه يتساقط سائل هلامي متوهج، والرصاصة تعجز عن إيقافه، حتى أطلقت الرصاصة الثانية والثالثة والرابعة تباعا، وبرغم

هذا وصل لي الحيوان المفترس الذي تألق الضوء الأزرق الباهت من حوله بشدة، ونهش قدمي.

ومن الصدمة وقعت على ظهري، وصرخت بكل ما في أحبالي الصوتية من قوة، فالألم كان فوق الاحتمال، فأنيابه كأنها كلابات معدنية ملتهبة، مزقتني وأحرقتني في نفس الوقت.

قالها ثم أخذ يلهث بشدة، وبعد أن ابتلع ريقه، واستعاد بعض هدوئه وأنفاسه، أضاف:

- بعدها، رأيت الأشلاء تحاول العودة والتجمع مع بعضها، وللحظات ظننته قادرا على فعلها، والضوء الأزرق الخافت، يعلو ويخفت بطريقة هيستيرية، وبعدها تألق مرة واحدة، وتلاشى تماما، لتخمد حركة الأشلاء إلى الأبد.

نظرت نحو الأشلاء في رعب شديد، متوقعا الغدر في أي لحظة، وعندما تأكدت من هلاكها تحاملت على نفسي ودخلت الشقة، وفحصت غرفها وقدمي تنزف والرماد يتناثر في الهواء، ويلوث حلقي، ويكتم أنفاسي، ثم سمعت صرخة عاتية أتية من الدور العلوي، فعدوت بسرعة على قدم واحدة إلى داخل الحمام، وهناك لم يحتمل جسدي كل هذه الضغوط، وما فقده من دماء، وفقدت الوعي هناك، ولم استيقظ إلا منذ ساعة واحدة.

وبتلقائية قال المقدم حسان:

-إذن فأنت من قتلت شيدرا!.

نظر رأفت نحو المقدم حسان بغير فهم، فقال المقدم حسان:

- إنه اسم ذلك الكلب الشيطاني، الذي تطلق عليه المفترس.

أدار رأفت ما قاله المقدم حسان في رأسه، ليدرك أن قد فاته جزءا كبيرا من القصة، فقال وهو يتأمل موسى الذي ظهر عليه الإعياء الشديد:

- عندما أفقت من حالة فقدان الوعي، وعلمت أين أنا وماذا حدث، وبعد أن غادر الطبيب والممرضة الغرفة وأطفأت النور، بعد أن حقنتني بلقاح الكلب بعد أن أخبرتهم بحقيقة إصابتي، اكتسى كل شيء حولي باللون الأزرق الباهت..

اعتقدت في البداية أن هناك خطب ما في عيني، وأن المواجهة مع المفترس، أصابتني بمرض مجهول وهذه من أعراضه فبت أرى كل شيء أزرقا، ثم ظهر المفترس أمامي..

هذه المرة كان بنفس هيئته السابقة، كتلة من الأعضاء المجمعة والفراء بداخل كيان هلامي أزرق، ولكنه كان ينز بدم أسود أو صديد من أربع فتحات في جسده، في نفس

الأماكن التي أصبتها برصاصاتي، و....

قاطعه موسى بصوت واهن قائلا:

- وهل كان هذه تجسد، أم أوهام عقلية كما حدث معي؟.

نظر نحوه رأفت في حيرة ثم قال:

- لقد بدا الأمر حقيقيا جدا، ولكني أنكرته على نفسي وأخذت أحاربه عقليا، وطوال ساعة كاملة استمر المفترس بأنيابه الحادة الملتهبة في تمزيق واحراق نفس القدم التي نهشها من قبل و...

وللمرة الثانية يتم مقاطعته، ولكن هذه المرة كانت عن طريق المقدم حسان الذي قال:

- وماذا حدث بعد أن تحررت من سيطرته، أما زلت ترى كل شيء أزرقا؟.

قال بصوت مضطرب:

- لا.. إنني أرى كل ما حولي جيدا الآن .

ومد يده ليمسك أحد الأكياس البلاستيكية المعلقة على ظهر المقعد المتحرك، والتي لم ينتبه إليها أحد وأضاف:

- عندما عدت أبصر جيدا، وخرجت من دوامة اللون الأزرق

المزعج، رأيت تلك الكتل الرمادية متناثرة حولي في كل مكان، وجرح قدمي ينزف بغزارة، فاستدعيت الطبيب الذي قام بإعادة تضميده.

وعندما فتح رأفت الكيس، تبدلت ملامحه وشهق، فكل ما رآه بالداخل مجرد رماد أسود، فصرخ قائلا:

- أقسم لكم أنها كانت رمادية متوهجة، حتى الممرضة التي ساعدتني في جمعها يمكنها أن تخبركم بهذا.

وعلى الفور نهض المقدم حسان من مكانه وقبض على الكيس، وأعاد إغلاقه ثم قال:

- لا بأس نحن نصدقك، فهل يعني هذا أن المسخ القاتل بدأ في مطاردتك من جديد، وأن المفترس قد عاد إلى الحياة؟.

هز رأفت رأسه وقال:

- الأمر لا علاقة له بالمفترس، ولكن أعتقد أن ما رأيته، هو تجمعات للـ... للـ... إكتوبلازم.

زفر المقدم حسان في حنق، وقال:

- حدثني بالعربية لو سمحت.

هز رأفت رأسه متفهما وقال:

- الإكتوبلازم هو مصطلح يوناني من مقطعين: إكتو أي خارج، وبلازم أي شيء متشكل أو مُتخلق، وهو مصطلح يستخدم في العلوم الروحية للإشارة إلى مادة أو طاقة روحانية تتشكل خارجيًا عبر وساطة روحية، وصاغ هذا المصطلح الباحث النفسي شارل ريشه في عام ١٨٩٤م.

وفقًا لما يقال في العلوم الروحية، فإن الكيانات الروحية تغطي جسدها غير المادي بمادة الإكتوبلازم المفرزة، مما يمكنها من التفاعل في الكون المادي الحقيقي.

رمقه المقدم حسان في غير فهم فقال:

- يمكن اختصار كل ما قلته، في أن المؤمنون بالروحانيات، ومثل هذه الأشياء يطلقون على تجسد الروح وما تتركه خلفها من بقايا.. إكتوبلازم، واعتقد أن الروح القاتلة أرادت أن تنتقم مني في لحظات وهني العقلي، بأن أرسلت لي هذا التجسد الإكتوبلازمي.

وما يمكن أن نختصره بالقول، أن الروح القاتلة أصبح لديها قدرات جديدة خطيرة، برغم عدم وجودها في البيت المسكون..

هز المقدم حسان رأسه متفهما، وقال:

- معنى هذا أن خطرها يزداد مع الوقت، ولكنك في معرض

حديثك أكدت لنا على نظرية أن الرصاصات قادرة على قتلها، بسبب انحصارها بداخل الكيان المادي الذي تسعى للحصول عليه، وبالتالي علينا أن نفكر في الخطوة التالية.

وهنا كان حسنين وزينب قد عادا، بعد أن توصلا إلى تسوية ما بينهما، ومن الواضح أنها لم تكن على هوى زينب التي قصت على مسامع حسنين تفاصيل كل ما حدث إلى النهاية، وكانا قد استمعا إلى الجزء الأخير من حديث المقدم حسان، ولأول مرة برغم عدم رضاءه عما يحدث قال حسنين:

- فن الخداع الاستراتيجي يستلزم منا معرفة كل المعلومات عن ذلك الشيء المخيف الذي يمثل العدو -بفرض وجوده- وطالما حددتم نقاط ضعفه، والسلاح القادر على ابادته وإنهاء وجوده، فبقيت النقطة الأساسية، أن نحدد موقعه، ونجهز عليه و....

وهنا زامت السيدة روحية وارتج جسدها بعنف، قبل أن تقول في ذعر أصبح ملتصقا بصوتها، وملامحها، وقالت:

- إنها هناك في الفيلا المسحورة، لقد عثرت على ثغرة أخرى للعالم السفلي، وهي تعد لمجزرة جديدة، لقد استعادت عافيتها تماما، وصارت أكثر توحشا، وهي تتوعدنا، وتتوعد العالم أجمع الآن، إن شهوتها للقتل والإيذاء تزداد مع مضي

الوقت، ومع التفاعلات الرهيبة التي تجتاح خلاياها التي تنهار وتتجدد طوال الوقت.

وهنا تساءل حسنين في سماجة:

- وأين توجد هذه الفيلا المسحورة، في ألف ليلة وليلة؟.

أجابه المقدم حسان في صرامة من لم يستسغ مزحته:

- إنها عند مدخل المدينة على النيل مباشرة، بالقرب من طريق القاهرة الاسكندرية الزراعي، يمكن الذهاب إليها بسهولة، لا يوجد طفل لا يعرفها في مدينتنا كلها .

وكأن السيدة روحية لم تسمع حوارهم، فإنها قالت:

- لو عجزتم عن الذهاب إلى هناك يمكن أن أقودكم إلى المكان، ولكن أولا عليكم أن تنفذوا اقتراح زينب بالذهاب إلى مستشفى الأمراض النفسية والعقلية بطنطا، لأنني من تواصلي مع سجيه، أدركت أنها تزداد ظلاما وقوة، وأن الرصاصات وحدها لن توقفها، فهي لم تعد تستخدم قدرات جسدها بعد التحول، إنها تستخدم السحر الذي تعلمته في ذلك البيت الملعون باستدعاء ذاكرة المكان، وهذا السحر مرتبط بالزوجين المحجوزين هناك.

قاطعها حسنين بسماجته التي لا تنتهي وهو يضحك:

- إذا مصير العالم معلق بزوج من المجانين، يا لها من مزحة.

تجاهله الجميع، وإن دقت عبارته السخيفة بعض أجراس المنطق في أعماقهم، بينما أكملت السيدة روحية حديثها قائلة:

- إنها زيارة لا بد من القيام بها وفي أسرع وقت، فسجيه بعد وقت قصير من الآن، ومع شروق الشمس ستجنح للخمول والسبات، فهي مازالت لم تفقد بشريتها بالكامل، وتحتاج إلى بعض النوم والراحة، وإن كانت قادرة على فعل ما تعجز عنه الأرواح والبشر معا.

نظر حسنين حوله، إلى حالة موسى ورأفت والسيدة روحية، ثم قال:

- برغم عدم اقتناعي بمعظم ما يدور هنا ولكنني سأذهب مع زينب للتقصي عن هذا الأمر، لو كان هذا ما سينهي هذه المهزلة الدائرة، وعلى الرغم من أن هذا يشبه اجتماع حرب مصغر، إلا أنني لا أرى أي جنود قادرين هنا على شن الحرب، وبالتالي سأضطر أسفا أن أتماهى معكم في قصتكم، وأن أطلب من سيادة المقدم أن يعمل على جمعكم جميعا في غرفة واحدة، ويعمل على حراستكم سواء بنفسه أو برجاله، لنقلص جبهات القتال.

ابتسم المقدم حسان الذي كان يظهر على وجهه ملامح الارهاق الشديد، وهو يقول:

- لقد مررت بالكثير، وعاصرت ما لم تعاصره، ورأيت ما يجعل الشك أخر اهتماماتي، فأنا ورجالي دلائل اثبات قوية على ما تنكره ولكني سأعتمد فقط على ثقتك في شخصي، وسأبدأ في نقلهم إلى غرفة متطرفة قريبة من مخرج الطوارئ، وسأعمل أنا ورجالي على حراستهم، وعلى تأمين المكان بالكامل.

كما سآمر بتجهيز حملة ضخمة من الرجال لإنهاء الأمر، فهناك قتلى ومصابين، ولابد من حل القضية قبل أن تبدأ الصحافة في مطاردتنا، وقبل أن تتهمنا الوزارة بالتقصير.

حديثه هذا على قدر ما بث في عروقهم من اطمئنان، فقد أقلقهم جميعا على مصيرهم، بعد الانتهاء من هذه المشكلة لو خرجوا منها أحياء، فهل ستوجه إليهم تهم القتل والإصابات الواقعة؟!

الأمر كان مزعجا مخيفا ومحبطا، وأنهاه حسنين بأن شكر المقدم حسان على مجهوداته، وأشار إلى زينب للاستعداد لترافقه إلى طنطا، وقبل أن يغادر أخبره المقدم حسان بأنه سيتواصل مع رئيس الحرس في المستشفى، ليسهلوا له

الأمر، ثم أضاف ضاحكا:

-وأتمنى ألا يحجزوكما هناك.

رد حسنين مداعبا قبل أن يغلق الباب خلفه:

- الجنون هنا أكثر بكثير من هناك.

وما أن أغلق الباب حتى أخذت السيدة روحية تهذي قائلة:

- إنها تعرف كل شيء.. إنها تعرف كل شيء.. إن سجيه لن تترك ثأرها أبدًا.. نحن من صنعنا هذا المسخ القاتل . ونحن من سندفع الثمن.

ولم يعلق أحدهم..

ولكن خفقت كل القلوب بشدة.

صندوق نهاية العالم

طوال الطريق حاول حسنين الزيات جذب أطراف الحديث مع زينب المنهكة، ولكنها كانت ترد عليه باقتضاب قاصدة أن تشعره ببعض الحرج، ورغم ذلك استمر إلحاحه لعدة دقائق متجاهلا حالتها المترددية. وفي النهاية أخبرته بشكل مباشر أنها لا ترغب في الحديث، وترغب في النوم قليلا لتستطيع المواصلة، فلم يرتدع، ولم يسكته غير سماع غطيطها المرتفع، الذي فاجأه، فحدث نفسه قائلا:

- لم أكن أعرف أنك تغطين أثناء النوم يا زينب، لابد من علاج هذه النقطة قبل الزواج.

ثم نظر نحوها في شفقة لعدة ثوان كاد أن يرتكب فيها حادثة مؤكدة، لولا أن انتبه في اللحظة الأخيرة، وتفادى سيارة النقل الثقيل، التي سبه سائقها، وأخذ يردد في صدمة ضاحكا:

- ومن الحب ما قتل، ومن الحب ما قتل.

ثم أخذ يقود سيارته بحذر بعد أن وضع سماعة الرأس وأوصلها بهاتفه المحمول، وهاتف أمه ليخبرها كم هو عظيم، وكم مأزق أنقذ منه زينب، وكيف عليها أن تفخر به، وبكونه ابنها ..

بينما في نومها المختطف لم تسترح زينب لحظة واحدة، فقد رأت في حلمها أن سجيه تطاردها بهيئتها البشعة هي وكلبها المفترس ذو الأنياب الحادة، وفور أن حاصراها، وأوشكوا على الفتك بها شعرت بهزة عنيفة، وسمعت صوت حسنين يخبرها بوصولهم لهدفهم، فانتفضت في مقعدها، وقالت بسرعة:

- أين أنا؟.

أجاب عليها بسرعة:

- في مكانك الطبيعي، في مستشفى المجانين.

ثم أخذ يقهقه بقوة سببت لها ضيق مضاعف، وهي تتذكر أخيرًا سبب وجودها في هذا المكان، فبادرته بالحديث قائلة:

- هل توصلت إلى مكانهم؟.

نظر نحوها باعتداد وقال:

- إنهم ينتظروننا في غرفة خاصة، مقيدين وعليهم حراسة، لا تقللي يوما من سلطة ونفوذ زوجك المستقبلي.

تجاهلت نصف عبارته الأخير، وشكرت الظروف على أنه قادر على حل معظم المشكلات التي تواجها، بحكم عمله في وزارة الداخلية، وصلاته المتشعبة في كل مكان، ثم قالت:

- هلم لنذهب إليهم إذن .

بالقرب منهما كان يقف أحد حراس المكان الرسمين، والذي كان يتعامل مع حسنين الزيات بكل احترام وتبجيل، وهو يقوده للغرفة المعنية، والتي ما أن دخلاها حتى خرج منها وهو يقول في اهتمام:

- أنا في الخارج يا حسنين باشا، لو أردت أي شيء أضغط فقط زر الجرس الموجود على مكتب الطبيب، وسأحضر لك على الفور.

أجاب حسنين:

- شكرا يا عبد الجواد، أبلغ سلامي لصالح باشا عندما تراه.

أجابه عبد الجواد في حماس:

- أعتبره وصل يا باشا.

ثم غادر المكان، وعندما استدار حسنين ليواجه زينب لمح علامات الذهول على وجهها، فنظر بالاتجاه الذي تنظر إليه فصدمه المنظر..

فأمامه وجد زوج من العجائز في أرزل العمر، ربما عمر كل منهما يتعدى المائة عام مع الرأفة، يجلسان مقيدان بأغلال معدنية على مقعدين متقابلين أمام مكتب الطبيب، وكل

منهم يهمهم دون توقف بصوت مسموع ولكنه غير مفهوم، وكأنهم يترنمان أو يؤديان صلاة مجهولة.

وعندما تجاوز حسنين صدمة شكلهم الغريب، أشار لزينب وقال:

- ها هم مجاذيبك، تفضلي واستفسري منهم عما تريدين.

وقبل أن ترد عليه، دوى صوت الرجل العجوز، واهن خشن، وكأنه قادم من أعماق بئر سحيق ليقول:

-للأسف ستنجح في حياتك العملية يا ابن الزيات، ولكنك لن تتزوجها، ولن يكون لك نسل منها أو من غيرها.. وستحمل غرورك إلى القبر.

ضحك حسنين في توتر وهو يقول:

- ها هي أول ألاعيب مجاذيبك يا زينب، لابد وأنه سمع أسمي من أحد الحرس وبنى عليه نبوءته كلها، هؤلاء النصابين لم يقهرهم الزمن، ولا جلسات الكهرباء بعد.

لم ترغب زينب التي كانت تشعر بالدوار من قلة النوم، في أن يطول السجال أكثر من هذا، فتوجهت بحديثها للعجوزين قائلة:

- لقد جئت إليكم في سؤال واحد، أنا أكثر الناس معرفة

بمدى عقلكم، واتزانكم، فقط أجيبوا على هذا السؤال وسنترككم وننصرف.

وهنا اهتز فم المرأة المجعد، وخرجت منه الكلمات متحشرجة، صدئة، وكأنها تخرج من جب سحيق وقالت:

- صندوق نهاية العالم.. خلاصكم في الصندوق.. لا يوجد شيء غيره قادر على ردع سجيه غيره، لقد لُعنتم بسبب رعونتكم، وأرى مستقبل مظلم ينتظرك يا بنيتي، مظلم أكثر من مخاوفك، ورغبات ابن خالتك.

بهتت زينب من حديثها فسألتها:

- كيف علمتم كل هذا؟.

أجاب الرجل في وهن:

- الكون كتاب مفتوح لمن يستطع قراءته، ونحن نقرأ أخر صفحاتنا في هذا الكتاب.. فالسحر الذي استخدمناه في إجراء الطقوس في هذا البيت المبني على ثغرة تقود للعالم السفلي كان محرما بشكل قاطع، وعوقبنا عليه بالحبس في سجن الجان الأحمر لخمس سنوات كاملة قضيناها في عذاب متصل، مرت علينا كخمس قرون كاملة..

إن مالا تعرفونه أن كهنة الجن وسحرتهم يحتقرون البشر،

وخاصة السحرة والمشعوذين منهم، لأنهم يروننا في منزلة أقل منهم، ولهذا أنشأوا سجن خاص ينكلوا فيه بالأفراد من طائفتنا الذين يكسرون العهود، أو يضعفون فيسقطون في قبضتهم، فضعف الساحر البدني يضعف سحره، وخاصة سحر الحماية، ويمنح لمن استعبدهم الفرصة ليستعبدوه كما استعبدهم من قبل.

وكنا نحن ضحايا أنفسنا، نبحث عن حياة طويلة بلا نهاية، وخدعتنا النصوص والطقوس، برغم كم الأضاحي البشرية والحيوانية التي قدمناها على محراب الشيطان الأكبر..

وفي النهاية كان مصيرنا هنا في مستشفى المجاذيب، بعد أن فدينا أنفسنا بأبنائنا ليتوقف العذاب..

الموت نفسه لم نستطع الحصول عليه لأن هناك خادم مكلف بمنعنا من قتل أنفسنا لنتعذب ما تبقى من العمر، بمشهد حرق أبنائنا أمام أعيننا، كي نخرج من سجننا.

شهقت زينب في قوة، في حين ظهر على وجه حسنين بعض الاضطراب برغم إنكاره لما يسمع وقال:

- ضحيتم بأبنائكم لتخرجوا من سجن الجان.

ردت المرأة في حرقة:

- العذاب كان رهيبا، ولم يتوقف لحظة، ولو خيرونا بينه وبين الموت، لاخترنا الموت، ولكنهم خيرونا بين العذاب وبين موتهم، فاخترنا موتهم، ولم ندري أنه العذاب الأكبر، فصورتهم وصرخاتهم وتضرعاتهم لا تفارقنا.

لم تستطع زينب أن تصمت فصرخت فيهم:

- إنكم ملعونين في كل كتاب.

رد عليه الرجل وقال:

- الفشل كان يحيط بنا من كل جانب؛ لأننا لم نقتنع أن شمس زماننا قد أفلت، وأن الزمن لا يعود، وأن بعض التعاويذ والعزائم، فخاخ للحمقى، وكانت مصيبتنا الكبرى أن الطقوس التي قمنا بها في البيت لم تكتمل، والتعاويذ لم تنتهي، فلعن البيت، وظل يجذب عاثري الحظ والعابرين والملعونين كقربان لا ينتهي، وآخرهم سجيه.

هتفت زينب في غضب:

- أي أنكم خلقتم لعنة لم تنتهي، ومنحتم لتلك الشيطانة قوة لم تكن لتحلم بها يوما، وها هي ستنتشر في العالم كالوباء.

ردت المرأة ببطء:

- تلومينا وكأننا نحن من صنعنا تلك القاتلة الدموية.. أنتم ملعونون مثلنا.. ووحدنا من نملك نهاية لعنتكم.

صاحت زينب في عناد:

- بواسطة صندوق خرافتكم المزعوم.

عقب العجوز قائلا:

- بل صندوق نهاية العالم.. صندوق القيد الأبدي.. ولكنه ليس بلا ثمن.

وهنا تدخل حسنين قائلا:

- أخيرًا كنت أنتظر هذه الجملة، لقد ظهرت نواياكم أخيرا، والثمن بالطبع هو إخراجكم من هنا.

كست ابتسامة واهنة وجه الرجل العجوز وهو يقول:

- لو أردنا الخروج من هنا، لما منعنا باب أو سور أو بشر، فلأين سنذهب بعد أن فقدنا كل شيء سعينا إليه في حياتنا، و....

قاطعه حسنين قائلا:

- إذا ما هو الثمن؟.

أجابت المرأة في وهن:

- موتنا.

ساد الصمت بعد كلمتها، وكل منهم ينظر نحو المرأة بذهول، قبل أن تردد زينب بغير وعي:

- موتكم؟!!.

قال الرجل في إرهاق:

- نمنحكم الوسيلة لإنهاء معاناتكم، فتمنحونا الوسيلة لإنهاء معاناتنا.

هتف حسنين باستنكار:

- بقتلكم.

أجابت المرأة بصوت كريه:

- هذه هي الصفقة، ولو واجهتم سجيه وحدكم، لن يرى أحدكم شمس اليوم التالي، وهذا لا ينطبق عليكم فقط، بل ينطبق على الكثير من الأبرياء الذين سيتبعونكم.

لم تصدق زينب كل ما تسمعه، ولم يستوعب عقلها المطلوب منها، فهي لم تكن قادرة على عقد صفقة مماثلة، أو اتخاذ قرار مصيري كهذا، فأخذت تتنفس في قوة، في حين قال حسنين بصوت مضطرب:

- إنهم مجاذيب.. دجالين.. وحتى ما يعدون به أقرب إلى الخرافات.. صندوق نهاية عالم.. والثمن قتلهم، لقد انتهيت من كل هذا السخف، هيا لنغادر يا زينب، إنهما في مكانهم الصحيح تماما، لا يجب أن يغادروا هذه المستشفى أبدا.

وهنا قبض الرجل العجوز على يد زوجته القريبة منه، ومد كل منهم يده الحرة، نحو زينب وحسنين، وقالوا بصوت واحد حزين:

- ليس عليك أن تصدقنا، عليك فقط أن ترى ثم يحكم قلبك.

كاد حسنين أن يغادر المكان مع فورة الغضب التي اجتاحت كيانه، عندما اقتربت زينب في تردد كبير، وقبضت على يد المرأة الخشنة القوية على عكس المتوقع، وألحت على حسنين ليحذوا حذوها مع الرجل العجوز، وعندما فعل بتردد، قال العجوزان بصوت واحد:

- لتغلقوا الدائرة.

قبض حسنين على يد زينب بقوة مستغلا الموقف، ولكنه لم يشعر بما أراد أن يشعر به من مشاعر مع لمسته ليدها الرقيقة الدافئة، فقد أظلم كل شيء حولهم بمجرد أن قبضت يده على يدها، وفي اللحظة التالية، وجدا أنفسهم

ينظران إلى بشر لا يعرفونهم متجمعين في حلقة مغلقة حول صندوق خشبي من الأبنوس الأسود، المطعم بالصدف، وبعض العظام البشرية الدقيقة، التي يمكن أن تكون لأطفال رضع..

الجو من حولهم كان باردا، والأصوات واضحة، وكأنهما هناك بكامل كيانهم، لا بوعيهم فقط..

وكان من الواضح أن من يجلسون أمامهم في تلك الحلقة المريبة، مجموعة من المشعوذين البدائيين الذين يعودون لعصور غابرة، تسبق عصور التكنولوجيا الحديثة، فقد كان يغطي أجسامهم أردية من الجلد المدبوغ، ويزينون صدورهم بالقلائد، ولطخت وجوههم بدهان أسود وأبيض، وكللت رؤوسهم بالريش، وكأنهم مجموعة من رجال الكهف البدائيين.

كان المشهد مذهلا، وإن أثار الرهبة في نفوسهم..

أما ما جعلهم يكتمون أنفاسهم من الرعب والصدمة هو مشهد ذلك الرجل البدائي البدين، الذي أخترق الدائرة وعلق أحد الثعابين الضخمة على خطاف معدني صدأ متصل بسقف الكهف الذي يجلسون بداخله فوق الصندوق الأسود تماما، ومع الترانيم التي أخذ البدائيين الأخرين يترنمون بها، بدأ في سلخ الثعبان..

وبعدها عصفت بالجميع رياح ساخنة، كادت تطيح بهم لولا تمسكهم بأيدي بعضهم البعض، ودماء الثعبان تسيل وتكشف تحت الجلد عن كائن مخيف شديد البشاعة، بشكل كاد أن يتسبب في إيقاف قلوبهم، عندما دوى صوت العجوزان:

- إنه شيطان زنيم، يتحرك في عالمنا على شكل ثعبان ضخم، وكان يخطف أطفال القبيلة ليمارس عليهم طقوس الدم، ولأن طوطمهم مرتبط به فكان عليهم أن يقضوا عليه دون أن يقتلوه، فصمم سحرتهم صندوق نهاية العالم.. الصندوق الذي يمثل سجن أبدي لا مهرب منه.. لتعيس الحظ الذي تجرى من أجله الطقوس.

في نفس اللحظة التي صمت فيها الصوت، كان جلد الثعبان قد انتزع بالكامل وظهر الشيطان بهيئته الطبيعية شديدة البشاعة، بقرونه العظمية، وعيناه الدمويتان، وجسده الهزيل كثيف الشعر، معلق من كتفه في الخطاف ويتحرك في توتر وعصبية شديدتان، وهو يرمق الصندوق الموضوع تحته برعب، ويتطلع إلى ظلامه بفزع رهيب، وكأنه يرى ما لا يراه غيره..

وفجأة هدأت الرياح العاصفة الساخنة، وبدأ صوت دقات متصاعدة يخرج من الصندوق..

دوم دوم ..دووودود دوووم.

دقات جعلت قلوبهم تنقبض مع شعور بوحشه رهيبة سكنت أرواحهم، لدرجة أن زينب بدأت في البكاء، وكتم حسنين دموعه بصعوبة، غير مصدق ما يراه بعينه..

دوم دوم ..دووودود دوووم.

دوم دوم ..دووودود دوووم.

دوم دوم ..دووودود دوووم.

ثم خرج من الصندوق على نحو خاطف، نار سوداء عظيمة..

لا يوجد وصف أخر لها..

أحاطت النيران السوداء المستعرة بالشيطان المذعور كإحاطة السوار بالمعصم، وهو يقاوم ويتلوى بشكل هستيري، وسحبته إلى ظلام الصندوق، وهو يطلق صرخة مزلزلة ..

وبعدها وبدأ الرجل البدائي البدين ترديد كلمات صلاة جنائزية قصيرة، ثم نظر للصندوق، وتقدم منه وأغلقه، ليسمعا صوت فوران رهيب، قبل أن يقول الرجل البدائي البدين بضع كلمات غير مفهومة، ليترجم العجوزان كلماته

قائلين:

- لقد انتهى العالم بالنسبة لك.. أنت أصبحت ملكا للصندوق.

وبعدها أظلم كل شيء..

وعندما فتحا أعينهم ..

وجدا أنفسهم بقلب مقابر مجهولة صامتة، وأمامهم العجوزان، يشيران نحو قبر بابه مفتوح ويقولان بصوت واحد:

- لقد أخفينا الصندوق هنا.

نظرت زينب نحو القبر المفتوح، وللحظة تخيلت نفسها بداخله، ثم أطلقت صرخة عظيمة، وفقدت الوعي..

الفيلا المسحورة

وقف المقدم حسان، مع أحد المسئولين المقربين منه والذي تربطه به صداقة طويلة في وحدة شرطة المسطحات المائية، التي لا تبعد إلا مسافة قليلة عن الفيلا المسكونة، أو الفيلا المسحورة، كما يشاع عنها، عند مدخل مدينة كفر الزيات، ثم ناوله سيجارة من علبته، وأشعلها له بحميمية، وهو ينظر نحو الفيلا بتوجس، فبادره المسئول قائلا:

- لماذا تحوذ هذه الفيلا بالذات على اهتمامك إلى هذه الدرجة يا سيادة المقدم.

سحب المقدم حسان نفسا من سيجارته، وقال في مرارة ساخرة:

- أشباحها تطاردني يا سيدة العقيد.

توقع حسين أن تروق دعابته للمسؤول، ولكنه وجد الجدية ترتسم على ملامحه، وهو يقول:

- أنا لا أحب المزاح في مثل هذه الأمور يا حسان، وخاصة حول هذه الفيلا المشؤومة.

بهت المقدم حسان من طريقة كلامه وقال:

- ولكني لا أمزح يا سيادة العقيد، أنا منذ عدة سنوات وأنا

أعيش في جحيم هذه الأشياء، ومنذ أمس وأنا لم أحظى أنا أو رجالي بلحظة نوم أو راحة، بسبب ما يوجد في هذه الفيلا الآن.

كانت الشمس تنير المكان، والنسيم عليل، والفيلا بتصميمها الكلاسيكي وموقعها المتميز على النيل لا توحي بأي شر، وبرغم هذا ارتجف الاثنان، وهما ينظران نحوها، فقال المسؤول:

- إن كل شيء يحيط بهذه الفيلا مريب وغريب، فعلى الرغم من الموقع المتميز للفيلا، ووجودها مباشرة على فرع النيل، إلا أن أحدا لا يعرف من هو صاحب هذه الفيلا، ولا السبب وراء تركها مهجورة لهذه الفترة طويلة دون عناية أو استغلال، مما أدى إلى انتشار شائعات عديدة حولها، فتارة هي مسكونة بجن البحر المؤذي، وتارة هي مسحورة وأن البعض يراها مجرد أطلال خربة، وتارة هي محرمة على البشر، وأن من يحاول استغلالها يتعرض للأذى من عمار المكان..

وأنا لم أصدق كل هذه الخرفات، ولم تحظى على اهتمامي قط حتى صباح اليوم، عندما رأيت أنا ورجالي جنية البحر شديدة البشاعة التي تسكنها، فهل هذا ما تتحدث عنه؟.

لوهلة كاد المقدم حسان أن يخبره بكل التفاصيل، عن

البوابة، والقتلة المتسلسلين، وزينب وموسى وروحية ورأفت، ولكن جرس انذار داخلي أخبره أنه كلما قل عدد العالمين بالقصة الحقيقية كلما قل الخطر عليهم، وكلما أصبح من السهل دفنها، بعد نزول كلمة النهاية، وهو لا يرغب في أن تنتشر القصة، أو يأتي من يحفر لينشرها، ويصنع منها أسطورة حضرية تستمر تطارده ما بقي له من عمر، لذا فإنه قال:

- هي بالفعل جنية البحر التي أتحدث عنها، والتي تطارد بعض ممن أهتم لأمرهم، واليوم عقدت العزم على إنهاء هذه الأسطورة، وكل ما أريده منك، أن تمنحني بعض رجالك بمعداتهم، ليأمنوا لنا المنطقة التي تحيط بها من داخل النهر، فرجالي الآن يعملون بالتنسيق مع بعض زملائهم في المرور لعزل لمنطقة، وتحويل طريق السيارات، وسيأتي بعض المتخصصين لطرد جنية البحر هذه.

أطلق المسؤول صفير طويل وهو يقول في دهشة:

- إن الأمر جاد بالفعل، أنت أعلنت الحرب على هذه الجنية.

رد المقدم حسان في ضيق:

- بل هي من جرتنا إلى هذه الحرب المفتوحة، فللموضوع تشعبات كثيرة، ولا وقت لقصها على سيادتك ربما بعد أن

نهي المهمة، فمن الواضح أن الرجال أنهوا كردون العزل في وقت قياسي على الرغم من الزحام.

داهم المسؤول خوف غير مبرر فقال:

- دقائق ويغلق لك رجالي المسطح المائي المحيط بالمكان كله، وسنشيع أنها عملية تدريبية مشتركة، وأنا لا أريد منك أي تفاصيل عن هذه الفيلا الملعونة أو ما يسكنها الآن.. فقط أطردوه، وأنسى أن الحوار هذا دار بيننا، فالحديث عن هذه الأشياء، يصيب صاحبها باللعنة، ولا تنسى أن تستخدم موجة الطوارئ المحدودة، للتنسيق الكامل مع رجالي.

سحب المقدم حسان نفس أخير من سيجارته ثم أطفأها، وخرج من بوابة وحدة المسطحات المائية، ليجتمع برجاله الذين ظهر عليهم التوتر، وقال بصوت صارم:

- نحن الآن بالنهار يا وحوش.. والنهار مملكة البشر، مملكتنا.. وستساندنا من النهر وحدة المسطحات المائية ورجالها المدججين بالسلاح، سندخل المكان ونقضي على هذا الشر مرة واحدة.. جميعنا واجهناه وهزمناه مرة، وحان الوقت لنقضي على شره إلى الأبد، كلكم تطوعتم لهذه المأمورية، وما زال الوقت سانح للانسحاب.

ظهر التصميم على وجه الرجال، وفي نفس واحد هتفوا

جميعا، وهم يقبضون على بنادقهم النصف ألية وسريعة الطلقات:

- تمام يا فندم.

أغبط المقدم حسان بشجاعة رجاله، وهو الذي لم يتوقف قلبه عن الخفقان، وعندما أشار له المسؤول أن رجاله انتشروا في محيط الفيلا من الخلف، قال في صرامة:

- الآن يا رجال.

انتشر الرجال في محيط الفيلا التي كانت تحت منسوب الطريق من حولها، وبواسطة أحد السلالم الهابطة، نزل الرجال إلى ساحتها، وقاموا بعمل تشكيل هجومي منظم، ثم وقفوا بانتظار التعليمات..

وفي هذه الأثناء حاول المقدم حسان الاتصال بحسنين وزينب، ولكن هواتفهم كانت خارج الخدمة، كان يريد قبل أن يشتبك مع سجيه أن يحظى بأخر التطورات والمعلومات التي قد تفيد في المعركة القادمة، وعندما لم يستطع التواصل معهما، توكل على الله، وتقدم الرجال، وقال:

- هجوم.

هذه المرة كان ورجاله مستعدين بكل شيء، أدوات

الاقتحام، والأسلحة، والدروع، والمصابيح اليدوية برغم نور الشمس، كما حمل كل منهم مصحف صغير ضمن ملابسهم، وحمل البعض الايقونات، والكتاب المقدس، وتعاهدوا جميعا على انهاء الأمر، فمن تقتل أطفال الملجأ الأيتام اليوم، غدا تقتل أطفالهم..

وبسرعة واحترافية كبيرة، عبروا بوابة الفيلا السوداء، تلاها الساحة، فالباب الرئيسي، الذي لم يكلفهم عناء كسره لأنه كان مفتوحا على غير العادة، ثم انتشروا في الفيلا المكونة من طابقين وسطح مكشوف، وكان من الواضح من النظرة الأولى، أن المكان خال وكل جهودهم ستذهب هباء..

وعبر اللاسلكي حدث المقدم حسان رجاله، فصرح الجميع بأن المكان خال وآمن..

تواصل مع قوات المسطحات المائية التي تأمن الفيلا من الخلف..

لا شيء..

كل شيء هادي في المكان..

لعن في سره تلك العجوز الشمطاء التي ستجعله، أضحوكة هو ورجاله أما المسؤول ورجاله، ولكن فجأة، دوى صوت السيدة روحية في رأسه بقوة هو ورجاله:

- غادروا المكان إنه فخ.. إنها مستيقظة وتنتظركم.. لقد خدعتني وغررت بكم.

وقبل أن يقوم المقدم حسان أو أي من رجاله برد فعل حقيقي، انفجرت في المكان قنبلة من الضوء الأبيض أعمت عيونهم..

وعلى الرغم من توتر الرجال بعد تحذير السيدة روحية، إلا أنهم أشعلوا مصابيحهم اليدوية على الفور، ليتبدد الضوء الأبيض من حولهم، ويشاهدوا الجحيم بأعينهم..

العشرات، وربما المئات من الديدان الأسطوانية الضخمة بيضاء اللون، التي تصل في حجمها إلى حجم الثعابين، تزحف على الأرض وعلى الجدران، وتقترب منهم بأسنانها الحادة، وهي تصدر صوت مزعج وموتر للأعصاب، كصوت مفصلات الأبواب القديمة التي تفتح عنوة..

زيج زيج زززيج ززززيج.

المشهد كان مقززا ومقرفا مثيرا للهلع، ولم يقطعه إلا صوت السيدة روحية التي كانت تصرخ في عقولهم:

- غادروا المكان.. إن ما ترونه ليس وهما، ليس وهما.

وفجأة صرخ أحد الرجال عندما قبضت على ذراعه بأسنانها

أحد تلك الديدان الأسطوانية الضخمة التي أخذت تتقافز حولهم في محاولة للفتك بهم ..

وعلى الفور شرع الرجال في استعمال أسلحتهم، وبدأ ضجيجها يغطي على أصواتها التي لم تتوقف..

ترررررررتات تررررررتاااات.

زيج زيج ززيج زززززيج.

ترررررررتات تررررررتاااات.

إلا صوت السيدة روحية التي ما زالت تحذرهم:

- حافظوا على طلقاتكم وغادروا المكان، إنها ترغب في الايقاع بكم بعد أن تنفذ ذخيرتكم .

وفجأة توهج المكان كله بضوء أزرق حارق، وتلاشى صوت السيدة روحية تماما، وظهرت سجيه بهيئتها البشعة وعيونها الجشعة المتألقة ملتصقة بسقف المكان، وسط الضباب الأبيض الكثيف، ودوى صوتها الخشن المشوه قائلا:

- ستموتون جميعا.

صوب الرجال أسلحتهم إليها وأطلقوها بغزارة، ولكن الضوء الأزرق توهج واختفت من مكانها، دون أثر.

وبعدها ارتجت جدران الفيلا بقوة، وكأن هناك قوة غامضة تحاول اقتحامها..

فسمعوا صوت سجيه يصرخ من العدم:

- اليوم نهايتكم جميعا.. لن ينقذكم أحد مني.

وعادت الأصوات، والصرخات، لتدوي في أرجاء الفيلا..

زيج زيج ززيج زززيج.

ترررررررتات تررررررتاااات.

زيج زيج ززيج زززيج.

زيج زيج ززيج زززيج.

بعدها عادت جدران الفيلا لترتج، والماء من حولها يهتز، حتى وصل توتره لأن أخذت زوارق وحدة المسطحات المائية، تتراقص على سطح الماء بواسطة تلك القوة المجهولة، فشهر الرجال على متنها أسلحتهم، وكل منهم يفكر في الجحيم الدائر بأعماق الفيلا المسحورة.

زادت حماسة الرجال، مع هروب المسخ من أمامهم..

بينما زاد توحش الديدان الأسطوانية البيضاء وأخذت تهاجم الرجال، اللذين قابلوها برصاصات أسلحتهم بسخاء،

وصرعوا منهم العشرات..

والغريب أنه كلما أصيبت حشرة إصابة قاتلة، كانت تنتفض وتتوهج قبل أن تتحول إلى رماد أسود يسقط على الأرض..

وبرغم شجاعة الرجال، وصرخات سجيه التي لم تتوقف، أصيب العديد منهم جراء هجوم الديدان العملاقة بإصابات بالغة، واشتبك بعض الرجال مع قطيع منها حاصر أحد زملائهم وكاد أن يفتك به، وأنقذوه على أخر لحظة..

ووسط هذا الجحيم المستعر، كان المقدم حسان يقاتل بكل قوته، ويأس كبير يتسرب إلى روحه..

وكان من الواضح أن الديدان تواصل هجومها بأعداد غفيرة، فكلما فجروا واحدة منها عاد مكانها اثنان، وكأنها تنبت من العدم.

أخذ ينظر حوله في يأس، وهو يفكر في طريقة لقهر تلك الديدان العملاقة، وإيقاف هجومها الضاري.

هل يأمر بتفجير الفيلا وهم بداخلها؟

كان تفكيرا جنونيا لا يعرف ما الذي جعله يتجه إليه!

وفي لحظة فقدان أعصاب وجد نفسه يصرخ:

- اللعنة، متى ينتهي كل هذا الجحيم؟.

وهنا، عادت الفيلا لترتج وكأنها ستهدم على رؤوسهم جميعا، والمقدم حسان يحاول فتح ثغرة بين قطعان الديدان، وهو يقترب من المكان الذي تتعالى فيه صرخات سجيه، التي كان من الواضح أنها مستمتعة جدا بمعانتهم.. وإن كان لا يعرف لماذا لا تهاجمهم بنفسها الآن، هل تنتظر نفاذ ذخيرتهم كما أخبرتهم تلك العجوز الشمطاء؟.

هاجمته دودة جديدة فسحق رأسها بحذائه الثقيل، ثم قفز جانبا ولصق ظهره بظهر مساعده راجح، الذي هتف به قائلا:

- لقد أصيب معظم الرجال يا سيادة المقدم، عليك أن تأمر الجميع بالانسحاب، قبل أن يسقط قتلى بينهم.

فجر المقدم حسان ثلاثة من الديدان المهاجمة، ثم استدار ليفجر اثنتان أخيرتان، قبل أن يعطي أمر الانسحاب في اللاسلكي الذي بدا في يده كقطعة من الخردة الميتة، لذا فإنه صرخ في مساعده قائلا:

- أشعل المصباح الأحمر، أشعله الآن ، ولينسحب الجميع.

كانت هذه هي خطة الطوارئ القصوى التي وضعوها على عجل، ففي حالة انقطاع الاتصالات، واتي تتواكب مع ظهور سجيه، سيكون المصباح الأحمر هو علامة الانسحاب..

وفور أن اشتعل المصباح الأحمر في المكان، حتى دوى صوت الرجال ليخبروا بعضهم بالأمر الجديد، واشتعلت عدة مصابيح حمراء أخرى، مما منح الفيلا سمت دموي رهيب، ليبدأ الجميع في تشكيلة الانسحاب، وهم مستمرين في مكافحة الديدان، واطلاق النار..

فأخذت كل مجموعة تؤمن المجموعة الثانية حتى تحمل جرحاها والمصابين في تنسيق خرافي، حتى هبط كل القوات إلى ردهة الطابق الأول، ثم اتخذوا تشكيلة أوسع للانسحاب من المكان..

وعندما هموا بالخروج، اهتزت جدران الفيلا وأرضيتها والمياه المحيطة بها في عنف شديد، وسمعوا صوت أبواب الفيلا ونوافذها تغلق، ثم صوت انفجار رهيب صم أذانهم، وجعلهم جميعا يفقدون الوعي على الفور، ويتساقطون أرضا كدمى بلا حياة.

في حين تصادمت بعض الزوارق وسقط بعض رجالها في المياه، في نفس اللحظة التي تبدد فيها الضوء الأبيض الثقيل، وتفجرت كل الديدان البيضاء في عنف، لتستحيل لرماد أسود..

ليظهر وسط الرجال فاقدي الوعي، زينب وحسنين، والزوجان العجوزان اللذان لم يعودا مقيدان، وفي منتصف

المكان توهج الصندوق الأسود، الذي فتح غطاءه تلقائيا ودون تدخل أحد..

وعلى الفور جثا العجوزان على ركبتيهما، وأخذا يرددان ترانيم وتعاويذ مجهولة، في نفس اللحظة التي ظهرت سجيه، بكامل غضبها وتوهجها وهيئتها البشعة..

وقبل أن تهاجمهم سجيه، دوت في المكان فرقعة رهيبة، فأحاط بالمكان ضباب رهيب أخفى الفيلا عن عيون الناظرين، ثم ساد بعدها صمت رهيب، لم تقطعه إلا زينب وهي تنظر إلى المقدم حسان ورجاله الساقطين على الأرض، وتقول في هلع:

- يا إلهي.. لقد قتلتهم جميعا.

بينما كانت رأس حسنين تدور وهو غير مستوعب ما يحدث، فقد انتقل عن طريق السحر إلى المقابر، ومن هناك إلى هذه الفيلا المشؤمة، والآن يشاهد عشرات الرجال صرعى، ويغطيهم رماد أسود كثيف، وأمامه ساحرين يترنمان بكلمات ذات وقع رهيب، وهناك مسخ رهيب متوهج يحاول مهاجمته في شراسة، فيمنعه شيء غير مرئي، وفي الطرف الأخر من المكان يقف قزم قصير بشع الهيئة له قرنان عظميان طويلان، يتابع ما يحدث في غيظ شديد..

ثم دوى الصوت المروع !!

دوم دوم ..دوووود دوووم.

دوم دوم ..دوووود دوووم.

دوم دوم ..دوووود دوووم.

دوم دوم ..دوووود دوووم.

ارتج مخ حسنين بداخل رأسه، وبدأ يشعر من قوة الصوت غير المحتملة، بأن أذنيه ستنفجران، ثم بدأ أنفه ينزف، وسقط ككتلة من الحجر على الأرض..

وهنا أقترب العجوزان من الصندوق في تؤدة، وكأنهما لا يسمعان الصوت الرهيب الخارج منه، ووقفا أمامه في حين كانت زينب تتراجع حتى التصق ظهرها بالحائط، ومشاعر مروعة تجتاح كيانها وهي تسمع الصوت الرهيب، الذي لم يكن بهذه الشناعة عندما سمعته في المرة الأولى ..

أخذت زينب تنظر لسجيه بهيئتها المرعبة وقلبها يرتج في صدرها، ثم إلى القزم القصير بشع الهيئة، التي أدركت على الفور أنه الخادم الموكل بمنع الزوجين من قتل أنفسهم، وتعود لتنظر للصندوق الأسود في رهبة، وهي تكاد تفقد وعيها، عندما دوى في رأسها صوت العجوزان:

- لن يبطل السحر إلا الموت.. أتمي العهد ليتحقق الوعد.

التصقت بالحائط أكثر في ذهول، وهي تنظر للعجوزين اللذين يرغبان منها قتلهما، في حين عاد الصوت أشد قوة وقسوة..

دوم دوم ..دوووودود دوووم.

دوم دوم ..دوووودود دوووم.

دوم دوم ..دوووودود دوووم.

وفجأة لمحت المقدم حسان يستفيق، لم يكن ميتا إذن، وبكل ما في أحبالها الصوتية من قوة صرخت فيه، وقالت:

- النجدة يا سيادة المقدم.

نظر إليها المقدم حسان، ثم إلى العجوزين والقزم، والصندوق، وإلى سجيه التي تقاتل شيء خفي يمنعها من النفاذ إليهم، دون أن يفهم ما يحدث..

ولكنه بسرعة سحب بندقية سريعة الطلقات من أحد الرجال الساقطين على الأرض، وزحف حتى وصل إلى زينب، وتحامل على نفسه ليقف على قدميه، وهو يقول في ذعر:

- ما الذي يحدث، ما هذا الصوت الرهيب، وما هذا الصندوق؟.

صرخت زينب بكل ما في روحها من توتر وهلع، وهي تجاهد لتتخطى تأثير الصوت المروع الصادر من الصندوق:

- الصندوق هو الوسيلة الوحيدة للقضاء على تلك الروح الدموية البشعة، ولتفعيله يجب قتل العجوزان.

صرخ من الصدمة، وهو يقول في استنكار:

- ماذا؟.

دوى صوت العجوزان في قوة، متخطيا أصوات الصندوق المزعجة في عقليهما قائلا:

- نحن لن نستطع كبح جماحها أكثر من هذا، نفذا العهد، أريحونا من تلك الحياة.. وإلا خسرنا جميعا.

نظر حسان لسجيه التي كانت تتوهج بضوء يعمي العيون، ثم إلى العجوزين، ثم إلى زينب التي هزت رأسها في ضراعة، وصرخ:

- طالما يشتهيان الموت، لماذا لا يقتلا أنفسهما؟.

أشارت زينب إلى القزم الذي فقد جسده تماسكه، وأصبح شفافا، وقالت في معاناة:

- الخادم يمنعهما.

فهم المقدم حسان الموقف المعقد، وقبل أن يقرر الخطوة التالية، صرخ العجوزان:

- لقد فشلنا.

وفي تلك اللحظة التي رأي فيها المقدم حسان سجيه بهيئتها المخيفة تتحرر من القيد الخفي الذي يحول بينها وبينهم، استجمع كل قوته وأدار بندقيته سريعة الطلقات نحو العجوزان وقلبه يتمزق من الحزن، وأمطرهما برصاصاته التي اخترقت جسديهما وكأنها دانات مدفع، لينفجر الجسدين، ككرتين من الدماء والأشلاء في كل مكان..

لينقلب المكان بعدها إلى جحيم ..

فقد عصفت بالمكان رياح ساخنة أطاحت ببعض رجال الشرطة فاقدي الوعي، وبزينب، والمقدم حسان، وتصاعد بعدها الصوت ليصم الآذان..

دوم دوم ..دوووددود دووووم.

دوم دوم ..دوووددود دووووم.

دوم دوم ..دوووددود دووووم.

ومن الصندوق، خرجت عاصفة النيران السوداء لتعترض طريق سجيه التي كادت أن تفتك بهم، والتي كانت تقاومها

في شراسة وهلع، ثم سحبتها إلى ظلام الصندوق العميق، قبل أن يسمعا صوت فوران عظيم، ليغلق غطاء الصندوق ذاتيا بقوة..

ولتجد نفسها زينب تردد بنفس لغة الرجل البدائي البدين:

- لقد انتهى العالم بالنسبة لك.. أنت أصبحت ملكا للصندوق.

لتسقط بعدها فاقدة الوعي..

وليتلاشى الضباب..

والجني الخادم، الذي تحرر من مهمته الثقيلة أخيرًا.

وتصمت كل الأصوات..

ويدخل ضياء الشمس عبر الأبواب والنوافذ التي فتحتها قوة غير مرئية..

وليأتي أمر ذلك المسؤول، بإجلاء جميع من في الفيلا..

وليستقبل قسم الطوارئ الكثير من المصابين..

وبرغم غيبوبتها، هطلت دموع السيدة روحية..

وعلى وجهها ارتسمت ابتسامة واسعة..

ابتسامة لم تزورها منذ فترة طويلة..

الخاتمة

بعد مرور عدة أيام، وبعد تنسيق كبير بين المسؤول ومساعد الوزير، تم إدراج القضية وسط الملفات السرية للوزارة، وتم اسقاط كافة التهم والتجاوزات التي تمت على جميع المشاركين في الأحداث، نظرا لطبيعة الأحداث الفوق طبيعية، والماورائية التي أحاطت بكل ما حدث.

وتم الاكتفاء بإنذار السيد حسنين الزيات، ونقل المقدم حسان إلى دائرة أخرى، وقامت فرقة كبيرة من الوزارة بتطهير الفيلا المسحورة وإغلاقها، كي لا يتم استخدامها مرة أخرى في مثل تلك الأشياء المحرمة، أو المنافية للآداب والقانون.

وحتى هذه اللحظة، لم يعرف أحد قطعا من الذي قام بإشعال النيران في بيت الدرديري، وإن كانت كل أصابع الاتهام، تشير إلى المقدم حسان، لأنه تم نقله بعدها مباشرة.

والذي يثبته كلام شهود العيان، الذين حضروا تلك اللحظات المخيفة التي اشتعل فيها بيت الدرديري..

نعم كانت كلها لحظات...

فحسب أقوال شهود العيان توقفت سيارة حديثة بلا لوحات أمام باب البيت المشؤوم، وهبط منها عدة أشخاص

يخفون وجوههم خلف أقنعة داكنة، ويحملون في أيديهم حاويات بلاستيكية ثقيلة، وأختفى هؤلاء الأشخاص لبعض الوقت داخل البيت المظلم، ثم خرجوا منه مسرعين، وبعدها دوى صوت انفجارات مكتومة متتالية، وبعدها اشتعلت النيران في البيت، دفعة واحدة..

وأضاف أحد شهود العيان، كانت النار مستعرة، وكأنها جهنم..

وما أجتمع عليه الشهود، أنه بعد لحظات من انتشار النيران في كل مكان، سمعوا صوت صراخ جحيمي وكأن هناك من يحترق بالداخل..

ثم أخذت الشقوق تنتشر في جدران البيت بسرعة مخيفة، وأخذت تلك الجدران تتصدع بشكل عنيف وسريع، وكأنما أصاب البيت وحده دونا عن كل المباني المحيطة به، زلزال مدمر قوض كل أساساته، فأخذ يهتز في قوة قبل أن تنضغط كل جدرانه إلى الداخل، ليتحول في لحظة واحدة إلى كومة من الركام، والغبار المتطاير.

وبعد اجتماعهم الأخير الذي اقتصر على موسى ورأفت وزينب والسيدة روحية، وقبل انصراف الأخيرة عائدة لبلدتها، قالت عبارة ظلت تتردد في عقولهم جميعا وتزيد من شعورهم بالذنب وتأنيب الضمير:

- لقد أصبحت أيدينا ملطخة بالدماء.. نحن من صنعنا هذا القاتل المتسلسل الذي كنا نطارده.. ونحن نحمل وزر كل ما حدث.

وفي تلك الليلة حلمت السيدة روحية بسجيه تتوعدهم بالعودة..

بل وتقسم عليها..

ولكنها كانت تعرف، أنها لن تستطع تنفيذ رغبتها هذه المرة ..

لأن صندوق نهاية العالم معها..

ولن يدري أحد أبدا

أين دفنته؟

تمت بحمد الله ...